جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

مذكرة ماستر

العلوم الإنسانية
تاريخ
تاريخ الوطن العربي المعاصر

رقم: أدخل رقم تسلسل المذكرة

إعداد الطالب:
سلمى صوالحي/ نوال صوالحي

يوم:11/06/2024

فرنسا وصناعة التقسيمات العرقية في الجزائر 1830-1900م

لجنة المناقشة:

د/ علي زيان	أ. مح أ	جامعة بسكرة	رئيسا
د/ أسامة بقار	أ. مح أ	جامعة بسكرة	مشرفا ومقررا
د/ وافية نفطي	أ. مح أ	جامعة بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية:2023-2024

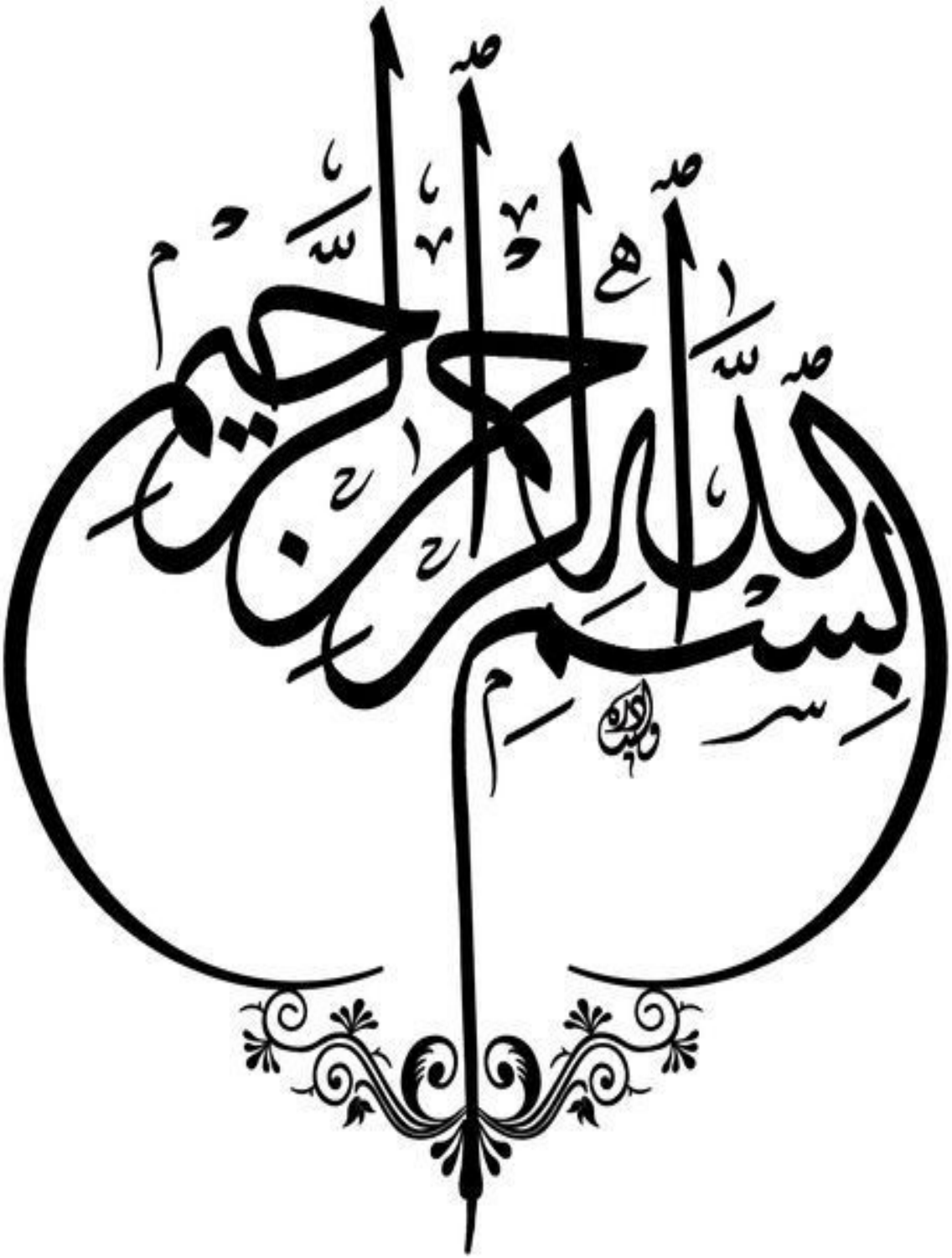
بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر وعرفان

بعد الحمد لله وشكره نتوجه بكامل الشكر والامتنان إلى أستاذنا المشرف الدكتور أسامة بقار فلولاه لما أتممنا هذا البحث المتواضع فكان لنا نعم الموجه ونعم المرشد فلم يبخل علينا بتوجيهاته العلمية ونصائحه القيمة، نشكره على صبره ورحابة صدره وكذا على أسلوبه وخلقه الكريم.

كما نسدي جزيل شكرنا إلى الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة على جهودهم الكبيرة في تقدير وتقييم هذا البحث المتواضع فلكم منا أساتذتي الكرام تحية الإكرام والتقدير.

الإهداء

الحمد لله شكرا وامتنانا على البدء والختام

نهدي هذا العمل المتواضع إلى روح عمتي الغالية عائشة صوالحي رحمها الله، لطالما كانت تشجعنا وتحثنا على طلب العلم، نتمنى لو كانت معنا لتشاركنا فرحتنا هذه نسأل الله أن يرحمها ويسكنها فسيح جناته

ولأن الأسرة هي الانتماء الأول للإنسان نهدي نجاحنا إلى أسرتنا الكريمة على رأسها الوالدين الكريمين نشكر والدتنا الغالية أطال الله في عمرها على صبرها معنا طوال العام المليء بالجهد والتعب لإنجاز هذا البحث

وإلى الذي دفعنا ورفعنا وجعلنا نسموا بين الناس وإلى الذي أعطانا بلا مقابل إلى الذي علمنا أن الدنيا كفاح وسلاحها العلم والمعرفة، داعمنا الأول في مسيرتنا وقوتنا وملاذنا بعد الله إلى من انتظر عملنا بفارغ الصبر " والدنا الغالي"

إلى من قال الله تعالى عنهم" سنشد عضدك بأخيك" إلى من علّمونا معنى الأخوة الحقيقية إلى من كانوا سندا لنا في كل خطوة إلى" أخينا محمد أمين" و "أختنا ماجدة " اللذان كانا لنا أفضل معين وأكبر داعم طوال رحلتنا الدراسية

مقدمـــــــة

1-التعريف بالموضوع:

إن النوايا الفرنسية لاحتلال الجزائر برزت منذ عهد الملك "لويس الرابع عشر"واستمر حتى عهد "نابليون بونابرت" الذي أصَّر على احتلالها للقضاء على التواجد الإنجليزي في حوض البحر المتوسط، وليوفر الأمن لسفنه في هذا الحوض، وبعد أن أعدت فرنسا مشروع فعلي لهذا الاحتلال استغلت الفرصة سنة 1830 وقامت باحتلال الجزائر بحجة أخذ الثأر من"الداي حسين" الذي أهان قنصلها فيما يعرف "بحادثة المروحة". ولكن في حقيقة الأمر فرنسا كانت تريد القضاء على هيمنة الدولة العثمانية وإنهاء العمليات البحرية في الحوض المتوسط واستغلال ثروات البلاد ونشر المسيحية في ربوعها. وبعد أن حققت الإدارة الاستعمارية هذا الهدف عملت على ترسيخ وجودها في الجزائر والتوسع داخلها، ولكن هذا الأمر لم يكن من السهل تحقيقه، فقد واجهت مقاومات شعبية عديدة في كل إقليم.والتي عبر من خلالها الشعب الجزائري عن رفضه للاحتلال جملة وتفصيلا خاصة بعد أن باشرت فرنسا في عملية نهب ثروات البلاد ومصادرة الأراضي، وقيامها بممارسات جائرة في حق الشعب الجزائري، فكان ردة فعله على شكل مقاومات شعبية والتي بعد أن أفلت امتدت إلى المقاومة السياسية والثقافية.ويمكن أن نذكر على سبيل الذكر لا الحصر بعض هذه المقاومات الشعبية مثل مقاومة أحمد باي في الشرق الجزائري والأمير عبد القادر في الغرب وصولا لمقاومة لالة فاطمة نسومر في منطقة القبائل.لقد عبرت هذه المقاومات عن وحدة الشعب الجزائري وسعيه للحفاظ على حريته وخصوصياته، وهذا ما دفع السلطات الاستعمارية لانتهاج العديد من السياسات وتسخير كافة الوسائل لإرساء سيطرتها على المجتمع الجزائري.

ومن بين هذه السياسات تسخير فرنسا العقول لفهم هذا المجتمع ومعرفة عاداته وتقاليده وتعلم لغته لمعرفة كل ما يجري فيه لاكتشاف مصادر قوته وضعفه، واستخدمت أيضا العلم لتزوير وتزيف الحقائق، واستغلت مكونات الشعب الجزائري من عرب وبربر من أجل إنجاح مخططاتها الاستعمارية التوسعية في البلاد أين حاولت إبراز الاختلافات الموجودة بين هؤلاء –العرب والبربر– في الأصل والشكل، من أجل خلق صراعات عرقية وانقسامات ثقافية لتسهيل مهمتها معتمدة في ذلك على بحوث وأطروحات المستشرقين وكذلك العسكريين والمستكشفين وغيرهم، وأيضا من بين هذه السياسات تركيز الاستعمار على الإسلام، فقد كان يعلم أن القوة التي يمتلكها الجزائريون المسلمون تكمن في رابطة العقيدة الدينية التي جمعت شتاتهم ووحدت صفوفهم. ولهذا عملت السلطات الاستعمارية بكل ما أوتيت من قوة وحيلة على زعزعة وحدة الأمة وتفتيت

شملها من خلال تطبيق سياسة التنصير وغيرها من السياسات التي سعت من خلالها على ضرب الوحدة العرقية.

2-أهمية وأهداف الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة كونها تلقي الضوء على جانب مهم وحساس من التاريخ الثقافي والاجتماعي للمجتمع الجزائري، خاصة الجانب الذي يمس الوحدة الوطنية الجزائرية، فقد تركت فرنسا سياسة بعيدة المدى لها تأثير سلبي على وحدة المجتمع الجزائري. وتبرز لنا هذه الدراسة أهم السياسات الخطيرة التي طبقتها فرنسا في الجزائر كالتنصير الذي حاولت فرنسا من خلاله القضاء على كل ما يتعلق بهوية المجتمع الجزائري كالدين وذلك بهدف تقسيم الوحدة العرقية للمجتمع الجزائري.وكذلك معرفة مختلف المحاولات الفرنسية للوصول إلى الهدف المتمثل في ضرب المجتمع الجزائري، وتشتيت وحدة عناصره وبث التفرقة بينهما من خلال خلق تضارب في الهويات وبث تعدد للهجات. وتسلط هذه الدراسة الضوء على مختلف سياسة فرنسا التي طبقتها على أعراق المجتمع الجزائري.والعمل على التعرف على مختلف الوسائل والممارسات –خلاف القوة العسكرية–التي انتهجتها فرنسا للسيطرة على الأرض والعباد.وكذلك التعرف على أهم الدراسات والأبحاث الفرنسية التي أبرزت الفروقات والاختلافات بين أبناء البلد الواحد، وفهم ظهور النزعة البربرية.

3- دوافع اختيار الموضوع:

3-1- الدوافع الذاتية:

رغبتنا الشخصية في اختيار هذا الموضوع كونه شيق يحتاج إلى الدراسة والبحث.

– جاء مبررنا في اختيارنا لهذا الموضوع، رغبتنا في البحث أكثر في تاريخ الجزائر، وكون هذه الدراسة من الدراسات التي ينجذب إليها الفرد تلقائيا لأنها تتناول أحداث تخص أعراق المجتمع الجزائري وكيف لعبت فرنسا عليها.

3-2-الدوافع الموضوعية:

– صممنا على دراسة الموضوع والبحث فيه أكثر لأننا رأينا أن الفرنسيين حاولوا طمس الحقائق التاريخية المتعلقة بأعراق المجتمع الجزائري في كتاباتهم، وتفسيرهم لبعض الحوادث في غير وجهها الحقيقي وذلك لخدمة السياسات الكولونيالية.

-التعرف على جذور التقسيمات العرقية في الجزائر وحيثياتها، وأبرز السياسات الفرنسية التي أدت إلى تكوينها.

- إماطة اللثام عن الأسباب والأهداف التي كانت تسعى إليها الإدارة الفرنسية من إحداث وخلق تقسيمات بين عناصر المجتمع الجزائري.

- محاولة إثراء مكتبة الجامعة بهذه الدراسة المتواضعة.

4-إشكالية الدراسة:

سعت الإدارة الاستعمارية لبسط نفوذها وتثبيت كيانها في بعض بلدان المغرب العربي، إلى انتهاج العديد من الممارسات واستغلال العديد من المميزات الموجودة في مستعمراتها من بينها التنوع الثقافي والعرقي.فقد اعتمدت على هذه الإستراتيجية في الجزائر لاعتقادها أنها الأنسب والأنجع لخلق صراعات عرقية للقضاء على وحدة الشعب الجزائري، وهذا ما سيؤدي إلى إضعاف عزيمة هؤلاء في المقاومة. ولتحقق ذلك جندت الإدارة الاستعمارية الباحثين للقيام بدراسات عميقة ودقيقة كخطوة أولية للسيطرة على هذه الأرض، وهؤلاء الباحثين بدورهم دخلوا في أوساط المجتمع الجزائري، ودونوا ملاحظاتهم عن كل المناطق التي زاروها، وقدموا هذه الملاحظات على شكل مؤلفات، فأصبحت هذه الدراسات بمثابة اللبنة الأولى التي انطلقت منها السلطات الاستعمارية لانتهاج وتنفيذ سياسات وكذا مشاريع تهدف إلى جعل التشكيلة العرقية للمجتمع الجزائري في تباين واختلاف وحساسية وتنازع وهذا رغبة منها في حدوث تصدع في الانسجام الذي وجدته بين بربر الجزائر وعربها.ومن هذا المنطلق نطرح التساؤل العام التالي:**ما الآليات والسياسات التي اتبعتها فرنسا الاستعمارية لإبراز الانقسامات العرقية بين الجزائريين وأشكال استغلال الفروق الاثنية لإحكام سيطرتها على المجتمع الجزائري؟**.وتحت هذه الإشكالية نطرح التساؤلات الفرعية التالية:

- ✓ إلى أي مدى ساهمت الكتابات الفرنسية في اكتشاف المجتمع الجزائري؟
- ✓ فيما تمثلت سياسة فرنسا الرامية لتقسيم المجتمع الجزائري عرقيا؟
- ✓ وما هو أهم مشروع أبرزت فيه الإدارة الاستعمارية الاختلافات بين البربر والعرب لإحداث انقسام داخل المجتمع الجزائري؟ وكيف كانت ردود فعل المجتمع الجزائري على هذه السياسة؟

5-شرح خطة الدراسة:

قسمنا هذه المذكرة تبعا للمادة العلمية التي تحصلنا عليها إلى: مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة

الفصل الأول بعنوان فرنسا واكتشاف المجتمع الجزائري1830-1870. في هذا الفصل حاولنا توضيح الطريقة التي بدأت فيها فرنسا التمهيد لسياستها في الجزائر. يندرج تحته ثلاثة مباحث ففي المبحث الأول الذي جاء بعنوان الاحتلال واكتشاف المجتمع الجزائري، تطرقنا فيه إلى عملية الغزو الفرنسي للجزائر، وكيف بدأ الجيش الفرنسي في تكوين صور ومعارف أولية عن سكان المناطق التي استولوا عليها بعدما كانت كل معلوماتهم عن هذه المناطق مأخوذة من المصادر التي دونها الجواسيس والرحالة، وبالتالي ساهم هذا التوسع في خلق معارف عن هذا المجتمع. وفي المبحث الثاني الموسوم بالأبحاث والدراسات الأنثروبولوجية الفرنسية حول المجتمع الجزائري، تناولنا فيه الدراسات الأنثروبولوجية الفرنسية التي مرت بمرحلتين بداية بمرحلة دراسات الضباط العسكريين والمرحلة الثانية سميت بعهد الدراسات المتخصصة التي ألفها الأساتذة الجامعين أين اخترنا نماذج عن الكتابات العسكرية وكذا الجامعية التي تناولت المجتمع الجزائري، في حين جاء المبحث الأخير بعنوان الأعراق في الجزائر من المنظور الفرنسي. حيث عالجنا فيه مختلف أعراق الجزائر من منظور بعض الدراسات الحاقدة اتجاه هذا المجتمع المُستعمَر، أما فيما يخص **الفصل الثاني** المعنون بالسياسة الفرنسية لتقسيم المجتمع الجزائري، أدرجنا فيه ثلاثة مباحث تناولنا فيها أهم السياسات التي هدفت إلى تقسيم الوحدة العرقية لهذا المجتمع، وكانت هذه السياسات عبارة عن خطط مدروسة بدقة من طرف الإدارة الفرنسية .أما المبحث الأول جاء بعنوان المملكة العربية 1860-1870 تناولنا فيه عن الكيفية التي حاول من خلالها نابليون الثالث، إلى استمالة الجزائريين (العرب) إلى صفه، من خلال استعادة حقوقهم المسلوبة. في حين تم إقصاء المجتمع القبائلي من هذه السياسة، بهدف تفكيك المجتمع الجزائري. أما المبحث الثاني جاء بعنوان التنصير واستبدال القوانين العرفية محل التشريعات الإسلامية، أين تطرقنا فيه إلى محاولات فرنسا في القضاء على الدين الإسلامي الذي يجمع ويوحد الجزائريين بهدف تفكيكه من خلال تنصيرهم وإحياء القوانين المنافية للدين الإسلامي، وركزت في ذلك على منطقة القبائل. أما المبحث الثالث الموسوم بإستبدال اللهجة العامية " الدارجة" محل اللغة العربية. تطرقنا فيه إلى غاية الإدارة الاستعمارية من تشجيعها للهجات العامية.

وفي الفصل **الثالث** الذي جاء بعنوان التقسيم العرقي وانعكاساته 1870-1900، أردنا أن نتطرق فيه إلى أهم مشروع في هذه السياسة التي حاولت السلطات الفرنسية من خلاله إظهار الفروقات التي بين كل من البربر والعرب، فشكلت صورا نمطية بقي تأثيرها لحد الآن.يندرج تحت هذا الفصل مبحثان المبحث الأول بعنوان الأسطورة القبائلية وانعكاساتها على المجتمع الجزائري، حيث تطرقنا فيه إلى نشأة هذه الأسطورة والأطروحات المؤسسة لها، وكيف ساهمت في محاولة تقسيم البربر والعرب، وإظهار الفرد القبائلي في صورة مسيحي ينتمي إلى الحضارة الأوروبية، أما المبحث الثاني جاء بعنوان رد فعل الجزائريين على السياسة الفرنسية، أدرجنا فيه رد فعل الجزائريين من سياسة التنصير ومن سياسة إحياء اللهجات العامية. التي طبقتها فرنسا على الجزائر.

6-البيبليوغرافيا:

بالنسبة للمصادر فقد تم الاعتماد أساسا على مصادر فرنسية.

Maistre jules, Mœurs et coûtes kabyles,imprimere de la manufacture de la charitè,Montpellier,1905.

يعتبر كتاب عادات وأخلاق القبائل، لميستر جولي من أهم المصادر الفرنسية التي تحدثت بشكل مفصل نوعا ما عن سلوك سكان القبائل من خلال ذكر الصفات الإيجابية والسلبية لهذا المجتمع.

Ernest fallot delà la Méditerranée Kabylie Aurès, kroumirie, libraire plon,E,plon, impraimeurs- édielrs, 1887.

أرنست فالوت المجتمع القبائلي من خلال كتاب ما وراء البحر الأبيض المتوسط (القبائل، الأوراس)، اعتمدنا على هذا المصدر في معرفة صفات المجتمع القبائلي وتصرفاتهم، حيث ذكر لنا هذا الكاتب معلومات قيمة لم يذكرها غيره من الفرنسيين.

وقد تطرق عن مسألة الضيافة عند سكان المنطقة وفَصَّل في شرحها، وتحدث أيضا عن ديانتهم وكيف حاول إظهار بأن هؤلاء يقومون بتصرفات منافية للدين الإسلامي وأنهم مرتبطون بالدين ليس من القلب بل بالتقاليد.

Masqueray Emil, Formaoindes citeschezles populations de l'Algérie(kabyles du djurdura chaouia du l'aouras, benimzab)

يعتبر كتاب تشكل المدن لإيميل ماسكاري، من بين أهم المصادر الفرنسية التي تحدثت عن مختلف أعراق الجزائر أين نجده تحدث عن المجتمع الشاوي وذكر الكثير من المعلومات التي تخص هذه العرقية، من احتفالاتهم وبعض الطقوس التي يقومون بها خلال هذه الاحتفالات أين ربط كل ما وجده في هذا المجتمع بالماضي الروماني وقلل من شأن التأثيرات العربية والإسلامية.

بالنسبة للمراجع المعتمدة، فقد بيّن المكتوب باللغة العربية وباللغة الفرنسية ويأتي في مقدمتها كتاب الجزائريون المسلمون وفرنسا (1871–1919) الجزء الأول لشارل روبير أجرون، الذي يعتبر من بين أهم المراجع التي أفادتنا كثيرا في دراستنا هذه، فالأهمية هنا لا تعني كثرة الاقتباس من هذا المرجع إنما تكمن في طريقة تقديمه وتوضحيه للأفكار، أين أعطى لنا شرح مفصل بما يعرف بالأسطورة القبائلية وحيثياتها.

وكذلك كتاب تاريخ الجزائر الثقافي 1830–1954 الجزء السادس لأبو القاسم سعد الله، أفادنا من خلال تضمنه معلومات عن مختلف عناصر دراستنا أين وضح لنا كيف قامت السلطات الاستعمارية بإنجاز أبحاث عن المجتمع الجزائري عن لهجاته وكل ما يتعلق به، وأيضا أفادنا في الجزئية التي تقول بأن البربر ينحدرون من أصول أوروبية.

وكذلك كتاب هويات استعمارية لباتريشيا لورسن، الذي يعد هذا المرجع من بين أهم المراجع التي قدمت لنا شرح مفصل عن كيفية بناء السلطات الاستعمارية لصور أولية عن العرب وكذا القبائل والإستراتيجية التي اتبعها الجيش الفرنسي في غزوه لمنطقة القبائل والعديد من الأفكار التي لم نجدها في مراجع أخرى.وكتاب الجزائر منطلقات وأفاق لناصر الدين سعيدوني، والتي تعتبر مؤلفاته من بين المراجع التي وضحت السياسة الفرنسية التي عملت على إلغاء الهوية الجزائرية من قيام حملات معادية للعروبة والإسلام وكيفية انتهاجها.سمح هذا المؤلف بالوقوف على العديد من المعلومات التي تخدم دراستنا، فقدم شرحا بأسلوب واضح ودقيق عن الخطة التي سار عليها الاستعمار الفرنسي لتحقيق غايته.

كتاب الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر(1830–1871) لخديجة بقطاش، التي اعتمدنا عليها في سياسة التنصير التي انتهجتها فرنسا لإبعاد الجزائريين عن الإسلام الذي كان مصدر من مصادر وحدتهم وإرجاعهم إلى مسيحيي. وبالتالي يتم إدماجهم في الحضارة الغربية، فلا يستطيع أي باحث في تاريخ الجزائر "التنصيري" الاستغناء عن هذا المرجع للتوثيق والدقة الموجدتين فيه.

ويضاف إلى ذلك المقالات، وفي مقدمتها عبد الحميد برقية الأوراس ضمن الدراسات الإستشراقية الفرنسية، إذ تعتبر من أهم المقالات التي استفدنا منها كثيرا في معرفة أهم الكتابات الفرنسية عن الأوراس، حيث وجهتنا إلى العديد من المصادر الفرنسية التي درست المجتمع الشاوي.

وناصر الدين سعيدوني المسألة البربرية في الجزائر دراسة للحدود الإثنية للمسألة المغاربية، التي تعتبر من بين أهم المراجع التي درست المسألة البربرية بعمق أين وضحت لنا العديد من النقاط المهمة فمن خلالها فهمنا أبعاد السياسة الاستعمارية من وراء تبنيها للمسألة البربرية، وكذلك ردود فعل الجزائريين على هذه السياسة وانعكاساتها. فلا يمكن لأي باحث تطرق إلى دراسة سياسة فرنسا البربرية في الجزائر ولا يعود إلى هذا المقال، وأيضا أفادنا في انعكاساتها فيما يخص ظهور النخبة البربرية ونشاطها وإلى غاية حدوث الأزمة البربرية فقد شرح هذا الموضوع بشكل مفصل وبدقة.

اعتمدنا على العديد من الرسائل الجامعية بالأخص أطروحات الدكتوراه، منها "محمد الحاكم بن عون" المعنونة بـ "المسألة الدينية في الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي (1830-1954) "، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ المعاصر.أفادتنا هذه الأطروحة كثيرا في جزئية إحلال فرنسا وكذا تشجيعها للهجة العامية في المقابل محاولتها القضاء على اللغة العربية، فطرحت هذه السياسة بطريقة مفصلة وبأسلوب واضح ومفهوم.وأيضا من خلالها فهمنا غاية الإدارة الاستعمارية من إحياء اللهجات العامية خاصة "البربرية".

وأيضا "سعيدي مزيان" المعنونة بالسياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل ومواقف السكان منها (1871-1914) أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، اعتمدنا عليها بشكل كبير في جزء الأسطورة القبائلية أين تناولها بشكل مفصل من نشأتها وتطورها إلى نظرة كل من السياسيين والعسكريين إليها والعديد من التفاصيل حول هذا المشروع (الخرافة القبائلية).وقد ساعدتنا كثيرا من خلال توجيهنا إلى العديد من المراجع، ولكن ما يعاب على هذه الأطروحة خاصة في الجزئية التي تم الإطلاع عليها – الأسطورة القبائلية–للأمانة يغلب عليها طابع النقل الحرفي من المراجع، فلما قمنا بالرجوع إلى هذه المراجع وجدنا أن الفقرات تعاد كما هي تقريبا وبالتالي غياب الرأي الشخصي للباحث في هذه الجزئية.

وأخيرا "عبد النور غرينة" التي تحمل عنوان"المجتمع الجزائري في الكتابات الأنثروبولوجية الفرنسية حالة الشرق الجزائري إبان الفترة الاستعمارية (1880-1962) ".وهي أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم

في التاريخ الحديث والمعاصر، اعتمدنا عليها في التعرف على أهم النماذج التي ألفها الأنثروبولوجيين العسكريين وكذا المتخصصين على المجتمع الجزائري.

8-المناهج المتبعة:

للإجابة على الإشكالية والتساؤلات المطروحة وللإلمام بكل جوانب الموضوع تم الاعتماد على المناهج التالية:

المنهج الوصفي اعتمدنا عليه في نطاق واسع وذلك من خلال وصف وشرح عمليات توسع الاستعمار الفرنسي في مختلف أقطار الجزائر، وتقديم صورة عن أعراق المجتمع الجزائري من خلال الكتابات الفرنسية، وكذلك وظفناه في عرض مختلف السياسات الفرنسية. وتخلل ذلك **المنهج التحليلي** من العمل على تفسير وتحليل بعض النقاط التي من بينها إظهار نوايا الاستعمار وراء تمجيده للبربر ونظرته المنحطة اتجاه العرب. كذلك تفسير غاية الكتابات الفرنسية وراء إظهار سكان منطقة القبائل على أن ديانتهم الأصلية هي المسيحية.واعتمدنا أيضا على **المنهج الإحصائي** وذلك في إحصاء عدد سكان الجزائر في القرن الثامن عشر وغيرها من الإحصائيات.

9-الصعوبات:

لا يخلو أي بحث علمي من الصعوبات والعراقيل التي تواجه الباحث سواء من بداية دراسته للموضوع إلى غاية نهايته، أما فيما يخص الصعوبات التي واجهتنا طيلة فترة انجازنا لهذه الدراسة نذكرها فيما يلي:

-تشعب الموضوع واتساعه، هذا ما جعل عملية ضبط خطة الدراسة وانتقاء العناصر المهمة في الموضوع تصبح صعبة.

- صعوبة الوصول إلى المصادر الفرنسية التي تناولت العرق العربي هذا ما أخذ منا الوقت الكبير في إنهاء الفصل الأول.

- طبيعة الموضوع تتطلب تحليل وقراءة العديد من المراجع لاختيار السياسة التي طبقتها فرنسا للفصل بين أعراق المجتمع الجزائري وهذا يتطلب وقت كبير.

- موضوع بحثنا يعتمد بشكل كبير على المصادر الأجنبية، فالترجمة إلى اللغة العربية صعبة جدا وتستغرق وقت كبير وأيضا تؤدي إلى تغيير مقاصد ومعاني المعلومات.

الفصل الأول: فرنسا و اكتشاف المجتمع الجزائري1830-1870

تمهيد

المبحث الأول: الاحتلال و اكتشاف المجتمع الجزائري

المبحث الثاني: الأبحاث والدراسات الانثروبولوجية الفرنسية حول المجتمع الجزائري

المبحث الثالث: الأعراق في الجزائر من المنظور الفرنسي

تمهيد:

أدرك الاحتلال الفرنسي أن احتلال الجزائر عسكريا ليس بالكفيل أن يضمن له خضوع الشعب الجزائري لإرادتها الاستعمارية. لذلك جندت كل الوسائل للتعرف عليه واستكشافه ومعرفة كيف يسير وماهي المميزات والخصائص التي يستند إليها في سيره هذا، حتى تتمكن السلطة الفرنسية في معرفة نقاط ضعف وقوة هذا المجتمع وتستطيع التعامل معه وبالتالي يسهل السيطرة عليه. هذا يدفع لطرح جملة من التساؤلات التي تحتاج لإجابات ونقصد:

كيف ساهمت عمليات الغزو والاحتلال في اكتشاف المجتمع الجزائري؟

ما الأبحاث الأنثروبولوجية الفرنسية المبكرة التي حاولت دراسة المجتمع الجزائري؟

وفيما تمثلت أعراق الجزائر من منظور الفرنسيين؟

المبحث الأول: الاحتلال واكتشاف المجتمع الجزائري

لقد برزت إرادة فرنسا في إنتاج معرفة حول المجتمع الجزائري منذ اللحظات الأولى من الاستيلاء على الجزائر من خلال تبني إستراتيجية التوغل والتوسع بدل الاكتفاء بالعاصمة وضواحيها. ولتحقيق ذلك اعتمدت على قوتها الصلبة ونقصد الجيش الفرنسي الذي كان أول من حمل مخاض المسعى الاستعماري، أي أنه أول من واجه الواقع الجزائري المجهول بالنسبة إليه، فسيكون أول من يحاول فهم هذا الواقع. هذا ما يجعل الجيش في عملية مزدوجة تقوم على عملة الغزو والإخضاع وأيضا الاستكشاف الجغرافي والمجتمعي[1].تبعا لذلك، يمكن القول في هذا الصدد أن عملية زحف الجيش الفرنسي وتوسعه في كامل ربوع الجزائر تزامنت معه عمليات استكشاف أولية للمجتمع.

1-احتلال إقليم متيجة والتعرف الأولي على سكانه:

اشتعل لهيب المقاومة الشعبية منذ الوهلة الأولى التي وطأت فيها أقدام الغزاة الفرنسيين أرض الجزائر، فلما إن انهار الحكم المركزي في مدينة الجزائر بموجب معاهدة 05 جويلية 1830، حتى أخذ شيوخ القبائل والزوايا من الأعيان والعلماء على عاتقهم مهمة تنظيم صفوف الشعب الجزائري وشحذ هممه للدفاع عن

[1]- سبعون سعيد، الإنتاج المعرفي الكولونيالي: الإثنوغرافية في الجزائر المستعمرة، مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية، المجلد2، العدد4، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، جامعة البليدة 2، 2014، ص 193-194.

أرضه وعرضه ودينه. وقد ساهم هذا التحرك في تنظيم الكفاح المسلح، فقرر العرب من فلاحين وعمال الأرض ورؤساء القبائل منع تقدم الجيش الفرنسي خارج مدينة الجزائر.وكان أول من اصطدم بالمستعمر الفرنسي خارج مدينة الجزائر هم سكان سهل متيجة الممتد من الساحل إلى جبال الأطلس التلي، وقد واجه سكان هذا السهل حملات الغزو الاستعماري المتكررة تحت قيادة مجموعة من أبنائه[1].

بعد احتلال فرنسا مدينة الجزائر، أصبحت البليدة مهددة بالاحتلال في أي لحظة، فأمام الاختناق الاقتصادي والعزلة السياسية التي وجدها الفرنسيون في مدينة الجزائر، سعى القائد الفرنسي "دي بورمون" (De Bourment) جاهدا لإيجاد حل لهذه الأزمة، فشرع في وضع خطة لفك الحصار، فرأى أن الحل يكمن في اللجوء إلى القوة العسكرية.من أجل ذلك، خرج يوم 23 جويلية 1830 متوجها إلى البليدة[2] على رأس جيش يتكون من حوالي ألفين من المشاة وبعض من الخيالة وبعض من القطع المدفعية[3].أما في الجانب الآخر المتعلق بسكان متيجة، لما علم بخروج دي "بورمون"اتجهوا نحو البليدة واجتمعوا وضم هذا الاجتماع رؤساء القبائل العديدة في المنطقة وكان من بين الشخصيات البارزة التي حضرت هذا الاجتماع الشيخ "محمد ابن زعموم"[4]والحاج سيدي السعدي.[5]وأعيان مدينة الجزائر.لقد كانت قيادة قوات الاحتلال تعلم بموعد هذا الاجتماع وسمحت لبعض العلماء بالحضور على أمل إقناع الحاضرين بمهادنة الفرنسيين وقبول الأمر الواقع.[6]

---

[1]– مراد قبال، المقاومة المسلحة في إقليم متيجة (مدينة البليدة نموذجا) 1830–1842، مجلة متيجة للدراسات الإنسانية، المجلد 3، العدد 6، جامعة خميس مليانة، 2016، ص 107.

[2]– المرجع نفسه، ص 108 – 109.

[3]– أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث – بداية الاحتلال –، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 86.

[4]– محمد ابن زعموم: يكتب تارة " ابن زعمون " وتارة أخرى " ابن زعموم " وقد اخترنا الأخير لوجوده في ختمه الرسمي، تعتبر حياة ابن زعموم السياسية مضطربة، إذ نجده له أدوار مختلفة، وكان زعيما لقبيلة فليسة العتيدة، وزعيم مقاومة سهل متيجة أصبح صاحب نفوذ في إقليم الجزائر للمقاومة الشديدة التي أبداها في وجه تقدم العدو ينظر إلى مراد قبال، المرجع السابق،ص 110.

[5]– الحاج سيدي السعدي: هو من عائلة متدينة ميسورة الحال، تمتلك قرب سيدي عبد الرحمان الثعالبي. كانت له علاقات مع الكثير من رجال الدين أدى فريضة الحج سنة 1827، بقي مدة عامين في المشرق، عينه الأمر عبد القادر بعد انضمامه إليه خليفة عنه في المنطقة الممتدة من سهل متيجة إلى مناطق الشرق الجزائري. ينظر إلى: رزيقة محمدي، دور منطقة مليانة في مقاومة الأمير عبد القادر 1835–1842، المجلد 1، العدد4، جامعة لونيسي علي البليدة 2، 2016، ص 96.

[6]-مراد قبال، المرجع السابق، ص 109–110.

وخلال هذا الاجتماع اتفق الحاضرون على حمل السلاح لطرد المستعمر من البلاد وهو القرار الذي أرضى جميع الحاضرين[1]. وصل "دي بورمون" إلى البليدة يوم 25 جويلية 1830 وفوجئ بهجوم منسق شارك فيه آلاف الجزائريين من سكان البليدة ومتيجة، والذين أجبروه على الفرار إلى العاصمة منهزما وترك وراءه خمسة عشرة قتيلا وثلاث وأربعين جريحا، بالإضافة إلى خسائر معنوية فادحة[2].

في الواقع تعتبر هذه المعركة الأولى التي خاضها الجيش الفرنسي بعد احتلاله العاصمة ثاني امتحان حربي بعد معركة "سطاوالي"، ولكنه هذه المرة تعرف على سكان جدد منتشرون غير بعيدين عن العاصمة وميزتهم أنهم مقاومون لكل من يهدد أرضهم. في هذا الصدد تحدث الضابط الفرنسي "نيل جوزيف روبان" (Joseph Robin) في مذكراته عن قوات المقاومين وراح يصف هؤلاء الذين حملوا السلاح اتجاه حملة الغزو والإخضاع بالمتوحشين، ما يؤرخ لأولى بدايات الأوصاف السلبية اتجاه المقاومين، فكتب قائلا: "**لقد لوحظ لأول مرة نوع من التنظيم في صفوف هؤلاء المتوحشين، فلما كنا أمام البليدة قابلنا جيش ابن زعموم على شكل مستقيم تقريبا؛ المشاة متمركزين في الجبهة الجبلية مشكلين المسيرة والفرسان على الميمنة...**"[3].

لاحقا وفي شهر أوت 1830 تولى الجنرال " كلوزيل " (Clauzel) الحكم في الجزائر، خلفا للقائد العام "دي بورمون"، حيث قرَرَ قيادة حملة ثانية على مدينة البليدة وأخرى ضد المدية وذلك لرد الاعتبار للقوات الفرنسية بعد الهزيمة الأولى[4].

وكان كلوزيل يعرف جيدا أن سلفه (دي بورمون) قد فشل في احتلال وهران وعنابة والبليدة، لذلك عزم على فعل شيء يثبت للجزائريين قوة الفرنسيين ويعيد بعض معنويات الجيش المنهارة من خلال شن حملات عسكرية، وكان أولها لما خرج من مدينة الجزائر في 17 نوفمبر 1830 ودخل البليدة يوم 18 من نفس الشهر عندها عبر عن روح التعصب الديني والانتقام، فاحتل مسجد البليدة وحوله إلى مستشفى عسكري ووصل به الأمر أنه أمر جيشه بسرقة الحبوب واللحوم من منازل المقاومين، وأظهر كلوزيل مدى غروره

---

[1]–جمال قنان، قضايا ودراسات تاريخ الحديث والمعاصر، د. ط، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 1994، ص 106.

[2]–أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830–1900، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص32.

[3]– مراد قبال، المرجع السابق، ص 112.

[4]– المرجع نفسه، ص 113.

واستصغاره لسكان المنطقة وعاملهم بنظرة الضعف والخضوع وهو الذي لا يزال لا يعرف طبيعة الأرض الجزائرية ولا سلوك الإنسان الجزائري[1].

ثم أمر كلوزيل جيشه بالتوجه إلى المدية وهذا بعد أن اعتقد أنه سيطر على الوضع في البليدة. لكن عندما عرف السكان بغياب جيش كلوزيل وعرفوا ضعف الحامية التي تركها بقيادة العقيد "روليير"(Rulliere)(تتكون من ستة مائة رجل) هاجموها بقيادة ابن زعموم وحسب المصادر الفرنسية كان عدد المهاجمين الجزائريين بين سبعة وثمانية ألاف شخص، فدارت معركة بين قوات ابن زعموم وجيش الحامية الفرنسية واشتد القتال بين الطرفين في الشوارع بالسلاح الأبيض أين دام القتال خمس ساعات وانتهت الواقعة باستشهاد حوالي ثمانمائة شهيد من جانب المقاومين الجزائريين ومن جانب المحتل فقد قتل تسعة عشر وجرح خمسة وخمسون[2]. وفي 27 من نفس الشهر عاد كلوزيل إلى البليدة قادما من حملته الفاشلة على مدينة المدية أين وجدها مليئة بالجثث وقرر في النهاية سحب القوات الفرنسية الباقية من البليدة وعدم احتلالها وعاد بجيشه إلى مدينة الجزائر[3].

لم تتوقف الحملات الفرنسية على إقليم متيجة رغم الفشل الذريع لدي بورمون وكلوزيل في السيطرة عليه، حيث واجهت فرنسا حملات عسكرية أخرى.أما الجزائريين، فقد واصلوا المقاومة بقيادة الأمير عبد القادر وبعد عدة معارك بين الطرفين سقطت البليدة تحت يد المستعمر الفرنسي يوم 3 ماي 1838.[4] خلال هذه المواجهات الأولى بدأ الفرنسيون يصنعون ويشكلون صورا أولية عن العرب بصفة عامة من جهة وسكان متيجة بصفة خاصة، ولعل أفضل ما يمكن أن نستشهد به مقولة الجنرال "بيجو" (Bugea)عن الروح القتالية للعرب وعن العربي المحارب، فقال: **"إن العرب كلهم أهل حرب وبأس، وكلهم فرسان مغاور، يتقنون أيما إتقان امتطاء صهوات الخيل، ولكل واحد منهم فرس وبندقية، وكلهم يخوضون غمار الحرب،[5] من الشيخ**

---

[1]– أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830–1900، المرجع السابق، ص 38–40.

[2]– المرجع نفسه، ص 42.

[3]– أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث – بداية الاحتلال – المرجع السابق، ص 86–87.

[4] –مراد قبال، المرجع السابق، ص 116.

[5]– المرجع نفسه، ص 116.

الهرم البالغ من العمر ثمانين سنة إلى الطفل البالغ خمسة عشرة سنة"[1].أما الحاكم العام الفرنسي "كلوزيل" فوصف المقاومين من أبناء سهل متيجة بأنهم: "**متعصبون وبرابرة"**[2].

في هذا السياق، كتبت المؤرخة الأمريكية "باتريشيا لورسن" في كتابها المعنون بـ"هويات استعمارية" في الجزئية المعنونة بـ"الحرب ونشوء التصنيفات" عن التعاريف الأولى أو التواصل الأول بين الفرنسيين والعرب؛ فبعدما حدث تصادم بين الأخيرين– المستعمر الفرنسي والعرب– تشكلت لدى المستعمر المفاهيم الأولى عن ذلك المجتمع الغريب، فوصفوهم كالتالي: "**العربي تائه لا يعتمد عليه، والمقاتلون العرب يتفرقون في المعركة كالدخان، وكانوا إذا واجهوا الفرنسيين يُجربون كل أنواع المكر ويتقنون المراوغة بشكل كبير إلى درجة الحاجة إلى حارسين فرنسيين لكل أسير عربي، وكذلك العربي يرى استقلاليته في السلب والترحال وإذا فر عند الهزيمة يعود ليتمرد من جديد"**[3].

2–الغزو الفرنسي لمنطقة الأوراس وتشكل المعارف الأولى عن سكان المنطقة:

بعد غزو فرنسا لمنطقة قسنطينة عام 1837رأت أنها لابد من احتلال الجنوب الشرقي من الأوراس. لذا قرر قادة الحرب دخول الأوراس بجيش كبير وتحت قيادة جنرالات وعقداء على رأسهم "بودو" (Budeau) والعقيد "ماكمهون"(Mcmahon) وإشراف"الدوق دومال"(D'Amule).[4]

وقد واجه هؤلاء العسكريون مقاومة عنيفة من سكان المناطق التي اجتازوها ووصلوا إلى باتنة في 4 فيفري 1844 وكونوا معسكرا لقواتهم بها.ثم واصلت الحملة تقدمها جنوبا إلى مدينة بسكرة التيتم احتلالها في 4 مارس من نفس العام.وبعد تمركز القوات الفرنسية في هذه المنطقة أتاهم خبر استعداد سكان منطقة الأوراس لمواجهتهم على إثر ذلك خرجت القوات الفرنسية يوم15مارس1844[5] متجهة إلى مشونش التي تمثل بوابة الأوراس الجنوبية والتي تجمع فيها المجاهدون من مختلف الأعراش وقد كانت المواجهة شديدة واستمر القتال

---

[1]– مراد قبال، المرجع السابق، ص 116.

[2]– أبو القاسم سعد الله،الحركة الوطنية الجزائرية 1830–1900، المرجع السابق، ص 40.

[3]– بتريشيا لورسن، هويات استعمارية الصور النمطية والتحيز والأعراق في الجزائر المستعمرة، تر: ابتسام خضرة د.ط، د.د.ن، د.ب.ن، د.س.ن، ص 82.

[4]– محمد العيد مطمر، الغزو الفرنسي للأوراس وأثره على الحالة الاجتماعية لسكان المنطقة (1844–1884)، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد 6، العدد 10، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2006، ص 81–82.

[5]– المرجع نفسه، ص 82.

لعدة ساعات تكبدت فيها فرنسا خسائر معتبرة، هذا ما جعلها تتراجع إلى معسكرها في بسكرة.[1] ساهمت هذه المواجهة في تعميق معارف الفرنسيين بالمقاومين الجزائريين، وهذه المرة أخذوا بعض التصورات على سكان منطقة الأوراس والتي يمكن الوقوف عليها من خلال أحد جنرالات فرنسا الذي وصف سكان مشونش من حيث روحهم الحربية وتمسكهم بأرضهم:

"**لقد قدم لنا هجومنا الأول على إحدى القرى دليلا على شراسة المدافعين وأكد لنا أن سكان الأوراس لديهم روح الحرية والاستقلال، وهذا ما وقفنا عليه في قرية مشونش الواقعة على مقربة من بسكرة أعلى صخرة يصعب الوصول إليها**[2]**.إن هؤلاء السكان مرتبطون بأرضهم ومساكنهم وفلاحتهم ويدافعون على أرضهم**".وبعد هزيمتهم في "مشونش" بدأت فرنسا تخطط في إعداد خطة أخرى لاقتحام الأوراس. وبغية ذلك، شنت حملة ثانية بدأت أولا بجمع المعلومات عن الحالة الأمنية للمنطقة والسكان وقد تم إعداد تقرير مفصل عن سكان وادي عبدي وجبل أحمر خدو وبني جاية، وورد فيه أن سكان هذه الوديان والجبال معارضين للوجود الفرنسي. وفي 29 أفريل 1845 تجمعت القوات الفرنسية بمعسكر باتنة وبلغ تعدادها خمسة آلاف وسبعون جنديا تحت قيادة الجنرال" بودو "(Budeau) وأثناء الزحف وصلت أخبار إلى الجيش الفرنسي مفادها أن هناك ألفين وخمسمائة مجاهد بقيادة أحمد باي[3].

اصطدم الطرفان في منطقة "جبل أم عشرة" وبعد فترة من القتال المتواصل انسحب المجاهدون إلى عمق جبال الأوراس وعلى إثرها طلب أعيان "أولاد عبدي" الأمان من فرنسا وهكذا واصلت الحملة عملية الزحف، فخاض الجيش عدة معارك مع سكان الأوراس والتي مكنتهم في النهاية من إحكام السيطرة على الأوراس[4].

3-غزو منطقة القبائل وتشكل المعارف الأولية عن سكان المنطقة:

قبل أن تسقط منطقة القبائل في أيدي الاستعمار كانت فرنسا تجهل المنطقة وكانت التعاريف الأولى لهذه المنطقة مبهمة، حيث كان الباحثين غير متصلين بسكانهم وكان القليل من لديه صلة بالقبائل وكانوا يرونهم قساة وذوي نزعة حربية كحال العرب ويتصفون بالذكاء أيضا. وفي سنة 1831 حاولت فرنسا غزو منطقة القبائل، فدخل الطرفان في معركة تكبدت فيها فرنسا خسائر فادحة والتي أثارت حالة غضب الجنود

[1]- محمد العيد مطمر، المرجع السابق، ص 82.

[2]-Quesony ferdinand , L'Armée D'Afrique depuis la conquéte d'Alger , librairie furne jouvet et cie , E'diteurs 5, Rue palatine ,5,p213.

[3]- محمد العيد مطمر، المرجع السابق، ص 82-83.

[4]- المرجع نفسه، ص 84،86.

من"أساليبهم الوحشية". ورأت القيادة الفرنسية ضرورة إعادة الهجمة عليهم، فاشتعل لهيب الحرب بين الفرنسيين والقبائليين وانتهت الحرب باحتلال بجاية.وبعد هذه المعركة قام سكان القبائل بدعوة أحد الفرنسيين للقيام باجتماع وخلالها قاموا بقتله، فأثارت هذه الحادثة بداية تشكل صور أولية للفرد القبائلي لدى الفرنسيين ويتضح ذلك في مقولة "لابين": "**إن القتل والابتزاز والغدر هي هواية القبائليين، وهم أصحاب نزعة استقلالية ومتمردين**". والأكيد أن مقاومتهم الشديدة دليل على عدم خضوعهم للفرنسيين واعتبارهم لهم عدوا مهيبا[1].

نتيجة لذلك، حاولت السلطات الفرنسية بالجزائر رصد كل تحركاتهم فمن وجهة نظرهم أنه إذا بلغ عدد القبائل نصف عدد السكان 22000 نسمة، فلابد من نفيهم لأنهم يحتفظون بأسلحة مخبأة وذلك يجعل خطرهم مضاعفا. لذلك رأوا ضرورة احتلال هذه المنطقة، وهذا على الرغم من ترددهم في البداية. وفي سنة 1843 زحفت القوات الفرنسية على منطقة القبائل أين اكتشفوا مدى صعوبة تضاريسها وعزيمة هؤلاء في صد الفرنسيين كبيرة بحكم أنها منطقة إستراتيجية وفَرض الضرائب على هؤلاء السكان سوف يعود على الفرنسيين بمكاسب كثيرة [2].

كما أنها من أكثر المناطق كثافة سكانية، فكان لابد من قوة كبيرة لهزيمة هؤلاء المحاربين الأقوياء. في الواقع، لقد كانت فرنسا ترى بأن احتلال هذه المنطقة سوف يجلب لها مكاسب. أخذ الفرنسيون يجمعون المعلومات عن سكان القبائل وخلصوا في البداية إلى: "**أنهم شعب مقيم وهادئ ونشيط يلم جيدا بالفنون والحرف، له ذكاء محدود بعض الشيء، له قلب جسور وعزيمة ماضية وشخصية واثقة**".

ويضيف المستوطن "مافر"(Maver) أن هؤلاء القبائليون سريعو التأثر بالحضارة وكان الدخول إلى هذه المنطقة يبشر بروابط طويلة ومثمرة مع سكانها.وبحلول سنة 1850 اكتسب الفرنسيون الخبرة وعرفوا مهارات سكان منطقة القبائل ولهذا تلاشت بعض مخاوف فرنسا لخوض الغمار لغزو هذه المنطقة[3].

وفي تقرير الجنرال "دوتبول"(D'Hautpoul) الذي كان السبب في القضاء على فكرة عدم إمكانية السيطرة على المنطقة ورد "**أن طبيعة القبائل المستقرة تجعلهم غير قادرين على الصمود إلى الأبد، فهم راسخون في أراضي محروثة بعناية، وفي قرى على غرار تلك التي في فرنسا، عندهم مصانع لإنتاج الذخيرة**

[1]– بتريشيا لورنس، المرجع السابق، ص 72–76.

[2]–المرجع نفسه، ص 76.

[3]– المرجع نفسه، ص 77–78.

والسلاح، ولن يستطيعوا الانسحاب كالعرب، بالفرار من الصفوف الفرنسية المتقدمة وبمجرد الانتصار عليهم سيجبرون على الخضوع والاستسلام"[1]. في حين رأى أحد الجنرالات أن القبائليون جيدون، لذلك لابد من الاستعانة بهم لحماية الجزائر، ويضيف أيضا أنهم يتمتعون بالنشاط واليقظة والإخلاص ويتسمون بالشجاعة.

ويظهر ذلك في استعدادهم الواضح لبناء القرى وحرث الأرض وعنايتهم بالأشجار عكس العرب المخربين للغابات. ومع الغزو الفرنسي للمنطقة شارف غموض المنطقة ينكشف، فقد رأى الفرنسيون بعض الملاحظات التي من بينها أن الحرب مع القبائل تختلف عن العرب: تفاجأ الفرنسيون بمشاركة النساء القبائليات في الحرب وتبين لهم أن التحرك الفردي أهم من المناورات الجماعية وهذا يؤكد الشخصية الفردية عند القبائل. ومن جهة أخرى فلقد رأى "بيجو"(Bugeaud) أن منطقة القبائل تحتاج إستراتيجية محددة للتعامل مع سكانها وأكد أنهم لا ينسحبون لمسافات بعيدة كحال العرب، وأنهم يفضلون الهجوم على أجنحة صفوف القوات الفرنسية. لذلك، نصح بيجو القوات الفرنسية لتنبه لأي خطوة يخطونها لأن هؤلاء القبائليون تصرفاتهم غير متوقعة وأنهم يواجهون عدوا جبارا.[2]

في المقابل، كان رد فعل سكان منطقة القبائل على هجمات الفرنسيين متمثلا في إحراق أكوام من التبن لمنع الفرنسيين من التقدم ونجحت هذه الحيلة ونبهر الفرنسيين لعدم يأس هؤلاء وبراعتهم في القتال. وفي سنة 1857 استطاعت فرنسا أن تحتل منطقة القبائل بأكملها بعد سبعة عشر سنة وخلالها تبين لدى الفرنسيين مدى قوة الرجل القبائلي وتمسكه بأرضه وبراعته فشبهوهم بالرجال الأوروبيين[3].

وما يمكن ملاحظته من كل هذا أنه خلال التوسع الفرنسي للمناطق الجزائرية لم يتم دراسة منطقة القبائل كسائر المناطق التي احتلتها فرنسا وذلك يرجع إلى عدة أسباب من بينها أن فرنسا حاولت احتلال المنطقة منذ 1844 ولم تستطع بسبب شراسة القبائليين وعنادهم وكثافتهم السكانية الكبيرة وأيضا صعوبة التضاريس على الفرنسيين وقربها من الجزائر العاصمة، ولهذا أوليت قضية القبائل دراسة معمقة أيام بيجو وراندون حتى عقدوا العزم على احتلالها.

---

[1]–بتريشيا لورسن، المرجع السابق، ص 78.

[2]– المرجع نفسه، ص 79–80.

[3]–المرجع نفسه، ص 81–83.

المبحث الثاني: الأبحاث والدراسات الأنثروبولوجية الفرنسية حول المجتمع الجزائري

كتب أرنست مرسى[1] الباحث والمترجم العسكري الفرنسي سنة 1875في عمل له سماه "تاريخ إنشاء العرب في شمال إفريقيا" أين وضح فيه نقطة مهمة تتعلق بالتاريخ الإفريقي حيث قال: "**في هذه السنوات الأربع والثلاثين ظهرت مدرسة تاريخية حقيقية بها تم خلالها تسليط الضوء على الكثير من الوثائق والأعمال الثمينة، فكان من الطبيعي أن يكون فتح الجزائر قد لفت انتباه العلماء إلى هذا البلد**[2]**وقد وجد علماء الآثار والمؤرخين وكذلك العسكريين في شمال إفريقيا منجما لا ينضب**". ومن بين أعلام هذه المدرسة الذين ذكرهم الباحث المذكور: بيربرجى(Berbrugger) ولاكروا(Lacroix) وبول(poulle). ويكمل مرسى حديثه مفتخرا "**بفضل جهود هؤلاء تم إلقاء الضوء على عدد كبير من النقاط التي كانت غامضة سابقا في تاريخ شمال إفريقيا**".[3]

وقد قسمت فترات البحث التاريخي في هذه المدرسة إلى مرحلتين: الأولى تمتد ما بين 1830–1880 والتي سماها ستيفن غزال(Stéphane Gsel)[4] المدرسة الجزائرية القديمة وأطلق عليها المؤرخ الجزائري "أبو القاسم

---

[1]– أرنست مرسيه: ولد أرنست مرسيه في 17 سيبتمر 1840 في مدينة لاروشيل الفرنسية كان أول اتصاله بالجزائر عند مجيئ والده إليها تحت حكم الماريشال بيجو، تعلم اللغة العربية أثناء إقامته بالجزائر سمحت له بالتعرف على التاريخ العربي الإسلامي بإطلاعه على مؤلفات المؤرخين العرب وكان لعائلته دور كبير في مسيرته الحياتية إذ كانت تتمتع بمستوى ثقافي، توفي أرنست في قسنطينة في 16 ماي 1907،أما فيما يخص أعماله في الميدان العسكري، نجح أرنست في اجتياز امتحان مترجم عسكري وشارك في إخماد ثورة المقراني وكذلك لديه أعمال في الميدان الإداري أما فيما يخص مؤلفاته ترك أرنست إنتاجا فكريا غزيرا في ميدان الكتابة والتأليف يتمثل في عشرات المقالات والكتب من بينها نشر مقال في المجلة الإفريقية سنة 1868ترك أيضا كتب من بينها تاريخ قسنطينة وتاريخ إفريقيا الشمالية ينظر إلى : عز الدين بومزو ، الضباط الفرنسيون الإداريون في إقليم الشرق الجزائري إرنست مارسيه نموذجا ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث تخصص تاريخ وحضارات البحر الأبيض المتوسط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ ، جامعة منتوري – قسنطينة– ، 2008، ص 31–33، ص 37.

[2]–Ernest Mercier، Histoire l’afrique septentrional (bebèrie) depuis les temps les plus reculès jusque à la conquete français (1830) paris ،1888،T،p2.

[3]-Ibid,p 2-3.

[4]– استيفان غزال: ولد استيفان بمدينة باريس في 7 فيفري 1864 من عائلة بروتستانتية مقيمة في سويسرا دخل مدرسة الأساتذة عام 1883 أنهى دراسته فيها ع عام 1886 وكان الأول في دفعته، كان ميلاد للتاريخ القديم فانظم إلى المدرسة الفرنسية في روما، ففي سنة 1890 عين كمكلف بالدروس في آثار وتاريخ شمال إفريقيا القديمة في مدرسة الآداب بالجزائر من بين مؤلفاته تاريخ شمال إفريقيا القديم والمعالم الأثرية القديمة الجزائرية ينظر إلى: اورفه لي محمد الخير ، استيفان غزال الأستاذ والباحث في تاريخ أثار الجزائر القديمة،مجلة الدراسات الأثرية، المجلد8، العدد1، معهد الآثار جامعة الجزائر، 2010، ص 18 –21.

سعد الله" اسم عهد المؤرخين العسكريين لأن معظم الباحثين خلال هذه المرحلة كانوا من العسكريين العاملين في صفوف الجيش المحتل والظاهر أن سنة 1837 كانت حاسمة في حياة هذه المدرسة فيفها أنشأت وزارة الحربية لجنة علمية سميت لجنة "الاكتشاف العلمي للجزائر" وقد حطت رحالها بالجزائر سنة 1839 وشرعت في العمل سنة 1840، أما المرحلة الثانية سميت بعهد الاختصاصين 1880-1954[1].

1-عهد المؤرخين العسكريين 1830-1880:

إن الحكم الفرنسي في الجزائر كان حكما عسكريا بالنسبة للجزائريين حتى عندما كان حكما مدنيا بالنسبة للأوروبيين المقيمين بالجزائر، ذلك أن الإدارة الفرنسية قد اعتمدت في الشؤون الأهلية على ضباط كانوا يتكونون تكوينا خاصا ثم تسند إليهم وظيفة محلية محددة كان يطلق عليها "المكتب العربي" وشيئا فشيئا أصبحت المكاتب العربية في الواقع الحكومة المحلية التي تباشر وتسير شؤون الجزائريين، وقد اختلفت إدارة شؤون الأوروبيين من عهد إلى عهد ولكنها بالنسبة للجزائريين ظلت تعتمد على المكاتب العربية حتى 1870[2].

وعندما تحولت الإدارة العليا إلى إدارة مدنية في عهد الجمهورية الثالثة أصبح الجزائريون خاضعين لإجراءات لا تختلف عن مزيج الإدارة العسكرية البوليسية.لهذا يمكن القول أن الدراسات الأنثروبولوجية في الجزائر قد ارتبطت في بدايتها الأولى بالعسكريين والضباط الميدنيين الذين شكلوا النواة الأولى للبحث الأنثروبولوجي في غياب علماء مختصين، فالمحتل الذي جاء مستعمرا لم يكن يعرف الكثير عن هذه الأرض ولا عن قاطنيها مما استوجب معرفة كل ما يحيط بوجود شعب له ما يميزه من أنماط حياتية وتشريعات ومعتقدات وغيره. ومن ثمة أصبح لزاما أن يخوض العسكريون مهمة التنقيب الميداني لإماطة اللثام عن هوية هذا الشعب وخصوصياته الثقافية الاجتماعية[3].

وفي هذا الصدد يقول "ريني.مونيي"(R.Maunier): "**إن لنا مصلحة نظرية وتطبيقية لنتعرف على حياة الشعوب الجزائرية، نظرية أولا لأنه من حقنا ومن واجبنا نحن الفرنسيين أن نعرف ونفهم جميع الشعوب التي نحميها وندير شؤونها ولا نتوقف أبدا عن القيام بالواجب نحوها .... ولنا في تنظيم الدراسات من**

---

[1]– همال عبد السلام، المدرسة التاريخية الاستعمارية الفرنسية بالجزائر (1830-1962) الأسطورة القبائلية البربرية نموذجا، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد5، العدد8، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، 2015، ص 22-23.

[2]– أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج1، ط3، دار البصائرر، الجزائر،2007، ص 20.

[3]–أوراغي أحمد، الأنثروبولوجيا والاستعمار–قراءة في صورة الجزائرية في المؤلفات الانثروبولوجية الاستعمارية، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، المجلد 5، العدد 2، جامعة تلمسان،2013، ص 273 .

غايات مادية وتطبيقية باعتبار العلم كمصدر للنفوذ والحكم"[1].فالمعرفة العلمية للجزائر كانت قبل كل شيء وظيفة الاحتلال، فبدأت الدراسة الأنثروبولوجية للمجتمع الجزائري أولا مع العسكريين كما ذكرنا سابقا.وفيها كان ينظر إلى هذا المجتمع على أنه تجمع هجين لطوائف وفئات اجتماعية مختلفة ومتباينة، منها العربي والبربري واليهودي. وبذلك فالجزائريون كانوا بالنسبة للأنثروبولوجين الاستعماريين مجتمع يستحق كل صفات الدناءة والخساسة والاحتقار. وبعد مرور عقد من الزمن على نزول الجيش الفرنسي وبعد أن تم اختيار توسع عسكري بعينه، أقدمت الحكومة الاستعمارية على تحر واسع النطاق وقد تم جمع معطيات قرابة أربعين مجلدا مابين 1844 و1867، وقد استدعيت العديد من التخصصات والعلوم كالتاريخ والجغرافيا والعلوم الطبية والفيزيائية والحفريات لكي توفر نظرة أمنية عن الآخر، أي عن هذا العربي أو عن هذا البربري[2].

وبالعودة إلى دراسات هؤلاء العسكريين نجد كتاب "بيليسيه دي رينو"(De Reynaaud pellissier) بعنوان "حوليات جزائرية" ألفه سنة 1837 وكتاب "حل للمسألة الجزائرية" "للجنرال دوفيفيي"(Duvivier) الذي أورد في كتابه المذكور أن هناك عناصر متمايزة في الجزائر وهي العنصر العربي والعنصر القبائلي وانتقل هذا الكاتب إلى تقديم وصف للعربي[3].ومن بين المواضيع التي تناولتها كتابات العسكريون لدينا المواضيع الدينية،إذ شكل الدين الإسلامي محورا أساسيا في الدراسات الأنثروبولوجية الفرنسية بالجزائر باعتباره أحد أهم مقومات المجتمع الجزائري وأحد أهم روابط أفراده بعضهم ببعض لذلك نال قسطا من البحث والتنقيب، فدرست الزوايا والأولياء الصالحين والمساجد والفرق الدينية وغيرها.

ومن الدراسات حول الفرق الدينية نجد دراسة النقيب "دونوفو"(Le capitainede Neveu) بعنوان "الإخوان: نظام ديني عند مسلمي الجزائر" والتي ألفها عام 1845 وهدف من خلالها إلى جمع أكبر قسط من المعلومات حول الفرق الدينية من حيث عدد رجالها، عدد الخيول التي تكتسبها، ميزانيتها ومساحة أراضيها[4].

---

[1]– الطاهر لبيب، صورة الآخر العربي ناظرا ومنظور اليه، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999، ص 438.

[2]– أوراغي أحمد، المرجع السابق، ص 273–274.

[3]–عبد النور غرينة، المجتمع الجزائري في الكتابات الأنثربولوجية الفرنسية حالة الشرق الجزائري إبان الفترة الاستعمارية 1880–1962، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر2–أبو القاسم سعد الله، 2018، ص 39 .

[4]– خلفاوي عزيزة، السوسيولوجيا الاستعمارية في الجزائر ومخلفاتها، دراسات وأبحاث، مجلد6، العدد17، جامعة قسنطينة –2– ، 2014، ص 226–227.

وفي سنة 1847 صدر كتاب آخر لعسكريين آخرين هما العقيد "دوماس"(Daumas) والنقيب "فابار"(Fabar) بعنوان"القبائل الكبرى".ولدينا كذلك كتابات "كاريت"(Cartte) والتي تعتبر من أهم المؤلفات التي اهتمت بالجانب الأنثروبولوجي للجزائر، إذ ألف سنة 1847 كتاب "وصف وتقسيم الجزائر" بمشاركة "وارني" الذي نشرته وزارة الحربية في 1845-1844[1].

واشترك كاريت[2] مع النقيب "روزي"(Rozet) في تأليف كتاب "الجزائر" سنة 1850 وتضمن دراسة عن الجزائر من جميع الجوانب في التاريخ والجغرافيا والآثار ووصف سكان الجزائر ودياناتهم وعاداتهم وتقاليدهم.[3]وكذلك لدينا الدراسة الإثنوغرافية[4] التي قام بها المترجم العسكري "شارل فيرو" عن منطقة القبائل الشرقيةسنة1860 التي تعتبر من أهم الدراسات التي أنجزت حول هذه المنطقة، فقد اهتم بدراستها وتدوين عادات وتقاليد المنطقة وخاض في العديد من المسائل الخاصة بالذهنية الجزائرية عموما والقبائلية على وجه التحديد[5].

ومن المؤلفات التي تنتمي أيضا إلى عهد الكتاب العسكريين 1830-1880 الذين يحسبون على المدرسة الاستعمارية الفرنسية القديمة في كتابة تاريخ الجزائر وأبرز ما جاء فيها في الجانب الانثروبولوجي ونورد أهم مثال عن ذلك: كتاب تعاليم حول أنثربولوجية الجزائر اعتبارات عامة للجنرال فيدرب (Général)

---

[1] -Cartte et warnier ,Dexiption et division de l'algèrie ,imprimerie de A.Gyot ,rue neuve des mathurins , 1847,p5.

[2]-كاريت: (أنطوان ارنست هيبوليت) ضابط وإعلامي، ولد في 23 ماي 1808، ادخل الى الهندسة العسكرية، وقد أجرى العديد من الأبحاث التاريخية عن افريقيا القديمة، كان عضوا في اللجنة العلمية التي استكشفت الجزائر خلال الاعوام التالية 1840و1841و1842 ينظر إلى:

Faucon ,Narcisse,le livre D'or de l'Algèrie ,(Histoire politique ,militaire , administrative , èvènement et faits principux, biographie des hommes ayant marque dans l'armèe ,les sciences , les lettres ,ect .de 1830 a 1889) tome 1 , challam el et cie èditeurs , librairie Algèrienne et coloniale 5,rue jacop ,et furstenberg,2,paris 1889 p137-138.

[3]-عبد النور غرينة، المرجع السابق، ص 39-41.

[4]- الاثنوغرافيا: هي دراسة الحياة الاجتماعية في المجتمعات البسيطة على مستوى السرد الوصفي وتعني أيضا حصول الباحث على معلومات وبيانات أولية عن المجتمع الذي يدرسه بعد أن يعيش فيه فترة من الزمن ينظر إلى: فاروق عبد الجواد شويقة وآخرون، الموسوعة الإفريقية، المجلد الرابع: الأنثربولوجيا، جامعة القاهرة اليوبيل لمعهد البحوث والدراسات الإفريقية، 1997، ص 13.

[5]- صورية مولوجي قروجي، عن الأثر العلمي للمترجمين العسكريين في البلدان المغاربية المستعمرة: الجزائر نموذجا، مجلة إنسانيات الجزائرية في الأنثربولوجيا والعلوم الاجتماعية، المجلد19، العدد1، 2015، ص 63.

(Faidherbe)[1] الصادر سنة 1874 وهو التقرير الذي قدم إلى الجمعية الأنثروبولوجيا بباريس في جلستها الخامس من جوان سنة 1874.[2]

ولدينا دراسات أخرى للجنرال "هانوتو "(Hanoteau) إذ كتب مقالات سنة 1860 عن اللغة التمشاقية وكذلك نقوش الطوارق واللغة البربرية وكتب القصائد الشعبية عن قبائل جرجرة ودون عادات وتقاليد منطقة القبائل وذلك سنة 1873[3]. ومن كتاب هذا العهد نذكر لإسكندر بيلامار، وارنو، ولسن ايسترهازي، روبان، ترملي ولويس رين وغيرهم. واعتمد أغلب هؤلاء الكتاب في كتاباتهم على المصادر الأهلية وهذه المصادر نوعين مكتوبة وشفوية ومن المصادر المكتوبة لدينا وثائق العائلات الكبيرة ومذكرات رجال العلم الجزائريين.[4]

أما المصادر الشفوية فقد اعتمدوا عليها أكثر من الأولى والتي سمحت لهم بتسجيل قصص وأحداث من مختلف المشارب والأنواع. ورغم أن أعمال هؤلاء الباحثين العسكريين كانت تعتمد على الجمع ولاسيما من المصادر الشفوية والمشاهدات الشخصية، فإنها تركت للمؤرخين اللاحقين أرضية يبدؤون منها ومنافذ يطلون منها على أحوال الجزائريين الذين لم يكونوا يعرفون عنهم إلا القليل[5].

ويستشف من خلال كتابات العسكريين الفرنسيين اهتمامهم الكبير والواضح الذي حظي به المجتمع الجزائري. ويلاحظ أنها ركزت على مناطق بعينها دون غيرها كمنطقة القبائل أو ركزت على التفرقة بين عناصر المجتمع فدرست عن كثب البربر. ولم يكن دافعها المعرفة العلمية بل لإدراك المستعمر الفرنسي عدم نجاعة العمل العسكري وحده دون دراسات للمجتمع المستعمر في جانبه الديني، اللغوي، الثقافي والقبلي. لذلك صنفت الأنثربولوجيا علما استعماريا صرفا.

---

[1]– فيدرب: هو لويس سيزار فيدرب جنرال فرنسي ولد بمدينة ليل الفرنسية سنة 1818 تخرج من مدرسة التقنيات شارك في الحملات التي استهدفت منطقة القبائل والتي استقر بها لمدة ثلاث سنوات اصدر العديد من المؤلفات تخص الجزائر والسنغال خاصة في المجال اللغوي والاثنوغرافي وكان من بين مسيري الجمعية الانثربولوجية بباريس ومراسلا للمجلة الإفريقية ينظر إلى: عبد النور غرينة، المرجع السابق، ص 43

[2]–المرجع نفسه، ص 43.

[3]–Faucon ,op,cit , p288.

[4]–أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 22 .

[5]– المرجع نفسه، ص 23.

ونستنتج من كل هذا أن دراسات هؤلاء العسكريون لم تكن علمية محضة بل كانت تحمل سوء نية الاستعمار الفرنسي فهي تعبر عن ذلك الشعور بالتفوق في إطار الاحتلال[1]. على ضوء ما تم تقديمه يمكننا إبراز خصائص الكتابات الأنثروبولوجية الفرنسية العسكرية فيما يلي:

- ألفت من طرف الضباط يغلب عليها طابع التفوق
- منتجة دائما من طرف المستعمر (الغازي)
- تهتم بالنقاط المهمة للمجتمع المستعمر (الجانب الاجتماعي، الديني، الثقافي والسياسي)
- تهتم بالحاضر من خلال طرحها لمواضيع ملحة
- موجهة لخدمة الاستعمار الفرنسي
- غزيرة المعارف
- تفتقر للموضوعية
- وظيفتها المعرفة من أجل الانتصار[2].

2-عهد الأكاديميين المتخصصين 1880-1954:

خلال القرن التاسع عشر طبقت الأنثروبولوجيا في الجزائر ومع مطلع القرن العشرين بأحداثه وتغيراته العلمية والاجتماعية والسياسية، طرأت عليها تغيرات جوهرية في موضوعها ومنهج دراستها،حيث استبدلت المنهج النظري بالمنهج التطبيقي كونها ظاهرة علمية. إضافة إلى علاقة التأثير والتأثر بينها وبين العلوم الإنسانية والاجتماعية الأخرى، [3]

فأصبحت النظرة الشاملة تميز المنهج الأنثروبولوجي الذي يتطلب دراسة أي موضوع دراسة كلية متكاملة، تحيط بأبعاده المختلفة وبتلك التفاعلات المتبادلة بين أبعاد هذا الموضوع وجوانب الحياة الأخرى السائدة.[4]

بدأ هذا العهد-عهد الأكاديميين المتخصصين – عند تأسيس جامعة الجزائر، ففي سنة 1880 صدر قانون بإنشاء المدارس العليا في الجزائر[5] كخطوة أولى لظهور باحثين أكاديميين في ميدان الدراسات التاريخية

[1]– عبد النور غرينة، المرجع السابق، ص 53.

[2]– المرجع نفسه، ص 54.

[3]– عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثربولوجيا)، د. ط، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004، ص 9.

[4]– المرجع نفسه، ص 9.

[5] – أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 23.

الحديثة[1]، وكانت هذه المدارس تضم مدرسة الآداب، مدرسة الطب ومدرسة الحقوق ومدرسة العلوم. وقد تكاثفت جهود أساتذة الجامعة مع جهود الجمعيات التاريخية الأثرية وكتاب الدوريات العلمية وأساتذة التاريخ في الثانويات ونتج عن هذا التكاثف اهتمام خاص بتاريخ الجزائر وبالتحديد كل ما يتعلق بالمجتمع الجزائري وتصادف ميلاد هذه المدارس مع موجة الاستعمار العنيفة التي بلغت ذروتها في الاحتفال بمرور مائة سنة على الاحتلال. وكانت كتابات هذا العهد تعمل على تبرير الاستعمار والتأريخ له، وكذا إنجاحه واستمراره وأيضا تعكس مدى ذاتية المؤرخ عندما يرتبط الأمر بمصلحة وطنه وضحى في سبيل ذلك بقيم البحث وأخلاق العلم[2].

بدأ اهتمام الأكاديميين الفرنسيين بدراسة المجتمع الجزائري بعد احتلال فرنسا لتونس سنة 1881، فقامت فرنسا بتمويل وتشجيع الأساتذة للقيام بالأبحاث والبحث عن المعارف لخدمة الإدارة الاستعمارية، فبدأ هؤلاء الأساتذة في التنقل بعيدا وركبوا في سبيل هدفهم الأحصنة والبغال وحتى الجمال.[3]

ومن الأساتذة الجامعيين الذين برزوا خلال هذا العهد إميل ماسكاري,(Masqueray)[4] الذي يعتبر أول الأنثروبولوجين الجامعيين وحسب بعض الفرنسيين لم يكن له وريث في هذا المجال[5].لقد عهد إليه سنة 1880 بتنظيم التعليم العالي في الجزائر فأسس مدرسة الآداب في الجزائر العاصمة، فبادر بتأسيس مجلة التواصل الإفريقية سنة 1882 لنشر الدراسات التاريخية[6].

---

[1]– شنيتي محمد البشير، الآثار الجزائرية بين العسكريين والجامعيين، مجلة الدراسات الأثرية، المجلد08، العدد08، جامعة الجزائر ،2010، ص 13.

[2]– أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 23.

[3]– المرجع نفسه، ص 24.

[4]– إميل ماسكاري (1894–1843): مستشرق فرنسي عني بالدراسات الاجتماعية لقبائل البربر في الجزائر، ولد في مدينة روان بشمال فرنسا في سنة 1843 تعلم في ليسيه مدينته وتخرج من كلية المعلمين العليا سنة 1866 ثم تحصل على الأجريجاسيون في التاريخ والجغرافيا، وبعد قضاء الخدمة العسكرية في المدفعية في عامي 1870– 1871،عين مدرسا في ليسيه مدينة الجزائر، توفي في 19 أوت سنة 1894 في مقاطعة نورمنديا مسقط رأسه، إثر نوبة قلبية مفاجئة وهو في الحادية والخمسين من عمره أما إنتاجه العلمي: ترك ماسكاري أطروحة دكتوراه حول النظم الاجتماعية في منطقة القبائل وجبال الأوراس وإقليم المزاب 1886 ونشر بحثا حول أولاد داود المقيمين بجبل الأوراس 1879 ...ينظر إلى : عبد الرحمان البدوي، موسوعة المستشرقين، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، 1993، ص 549.

[5]– عبد النور غرينة، الأوراس في الكتابات الفرنسية إبان الفترة الكولونيالية 1840–1939، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الأوراس الحديث والمعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2010، ص 134.

[6]– عبد الرحمان بدوي، المرجع السابق، ص 549.

وكان أهم عمل بالنسبة للمؤرخ وعالم الاجتماع إميل ماسكاري أطروحته عن تشكل المدن عند السكان المستقرين للجزائر الذي أصدره سنة 1886، حيث اعتمد في هذه الأطروحة على مجموعة من المؤرخين أمثال هيرودوت، سالوستيوس، سترابون، بروكوبيوس. والمؤرخين العرب كالمسعودي وابن خلدون والقيرواني. وقد تحدث ماسكاري في كتابه عن ثلاثة أعراق التي أثارت اهتمامه وهم: الشاوية في الأوراس والقبائل في جرجرة وبني ميزاب في الصحراء، فكتب عن طريقة البناء عندهم وعن عاداتهم وتقاليدهم، فاستطاع السيطرة على الكم المعرفي الكولونيالي حول المجتمعات الأهلية الجزائرية.[1]

واللافت للأنظار في كتابه هذا أننا نلمس فيه الإنكار وما يجعله يناقض نفسه فنراه على سبيل المثال لا الحصر يقول: " **الشاوية في جبال الأوراس لا تحدهم الوديان،والسهول والصحاري التي تحيط هذه الكتلة المشهورة من باتنة إلى خنشلة وبسكرة إلى خنقة سيدي ناجي، وإن صدقناهم فهم نصف رومان ونصف زناتيين**".[2]

لكن إلى جانب آخر نجده متناقضا حين أقر أن العائلة أو الأسرة تولد من الحرب أو من ذلك الصراع من أجل البقاء خاصة في هذه التجمعات البعيدة عن الدولة.وكان ماسكاري أكثر العارفين بالمجتمعات المستقرة الجزائرية، وقد منحه أعضاء المدرسة الاجتماعية الجديدة بفرنسا درجة الاستحقاق لأنه فضل استعمال مصطلح "الإفريقيين" بدل مصطلح "البربر" الذي يطلق عادة على كل سكان إفريقيا الشمالية الذين اعتبروا السكان الأصليين لها، عندما قال مثلا :"... **وهكذا نشأت عند السكان المستقرين الإفريقيين مدن واختلفت أسماؤها مثل التقلعت في الأوراس** ... ". واعتمد ماسكاري أيضا على مؤلفات هانوتو ولوتورنو التي دلته على أهمية وفائدة المجموعات القبائلية.[3]

[1]– عبد النور غرينة، الأوراس في الكتابات الفرنسية إبان الفترة الكولونيالية 1840–1939، المرجع السابق، ص 135

[2]– المرجع نفسه، ص 135–136.

[3]– المرجع نفسه، ص 136.

لقد شهدت فترة قيام مدرسة الآداب نشاطا كبيرا في مجال البحث والتأليف، فقد كان المستعربون يتسابقون في كتابة الدراسات العربية[1]، فبرز في نفس الفترة أي سنة 1880 أستاذ يافع وطموح وهو "رينيه باصيه (René Basset)[2]خريج مدرسة اللغات الشرقية الحية[3] وهو من أعضاء المجمع العلمي العربي.اختير"باصيه" عضوا في كثير من المجامع العلمية [4]واشتغل حوالي سبع سنوات في مدرسة الشرقية بباريس ومدرسة الآداب العليا قبل أن يأتي إلى الجزائر سنة 1880. ومنذ وصوله تولى تدريس الأدب العربي القديم، ثم خلف زميله "هوداس " في تدريس اللغة العربية بعد ذلك درّس البربرية إذ كانت الحكومة العامة والدوائر الكولونيالية تسانده بالمال للقيام بأبحاثه الخاصة وكان مقتنعا بخدمة العلم لسياسة الإدارة الاستعمارية لذلك سخر أبحاثه من أجل تحقيق ذلك.[5]

أما فيما يخص إنتاجه العلمي، فقد بلغت حوالي أربعين صفحة بين كتاب ومقال وتنوعت مجالاتها، فالبعض منها اختص بالأدب ومنها في التاريخ والدين. وقد نشر أكثر من خمسة وعشرون عملا حول الدراسات البربرية[6]. وفي هذا الصدد يمكن القول أنه في السنوات الأولى من إقامة "باصيه" في الجزائر العاصمة ضاعف أبحاثه في جميع المجالات الخاصة بالبربر.وقبل قيامه بالتأليف قام بالعديد من البعثات سمحت له بجمع العديد من المعلومات من كل أنحاء الجزائر، إضافة إلى قيامه باكتشاف بعض المكتبات

---

[1]– عبد النور غرينة، الأوراس في الكتابات الفرنسية إبان الفترة الكولونيالية 1840–1939، المرجع السابق، ص 138.

[2]– رينيه باصيه: ولد سنة 1855 في مدينة لونيفيل الفرنسية حيث تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي، ولما أجيز بالآداب من جامعة نانسي سنة 1878 قصد باريس، وتخرج من مدرسة اللغات الشرقية، ثم من معهد فرنسا وعندما أنشأت مدرسة الآداب العالية بالجزائر أسند إليه كرسي العربية فيها سنة 1885، وكان في طليعة محرري المجلة الإفريقية، ونشرة المراسلات الإفريقية، ونشرة الآثار الإفريقية، و أسهم في مجلات عديدة وترأس مؤتمر المستشرقين في الجزائر عين عميدا عندما تحولت مدرسة الجزائر إلى كلية سنة 1909 وتوفي سنة 1924، أما أثاره: انقسمت كتاباته إلى ثلاث أقسام عربية وبربرية وحبشية من بينها مجموع حكايات بربرية عامية سنة 1887 وبحث في ديانة البربر سنة 1889 ومغامرات تميم الداري سنة 1899 ينظر إلى: يحي مراد، معجم أسماء المستشرقين، د.ط ، د.د.ن، د.ب.ن، 2005، ص 204–205.

[3]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي1830–1954، ج6، ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 27.

[4]– خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج3، ط 13، دار العلم للملايين، بيروت، 1898، ص 39.

[5]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي1830–1954،ج6، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 29.

[6]– المرجع نفسه، ص 30.

الجزائرية. وفي شهر مارس من سنة 1885 كلف من طرف الحاكم العام للجزائر بدراسة اللهجات البربرية لواد ميزاب ووادي ريغ في ورقلة.[1]

وتماشيا مع هذا، فقد تنوعت الأنثروبولوجية الجامعية إبان الفترة الكولونيالية، فبرز على صعيد أخر "أيدمون دوتي"(Edmond doutté)[2] الذي كرس جهوده للأبحاث الاجتماعية خاصة الدينية منها وقام بمجموعة من الأبحاث بصفة شخصية ولم تكن ملاحظاته تستند إلى أي مصلحة إدارية، فنشر" دوتي" في سنة 1900 كراسة معنونة بـ "الإسلام الجزائري" ونشر في نفس السنة كتابا أخر بعنوان "ملاحظة عن الإسلام المغاربي– المرابطون" تحدث فيه عن طقوس العبادة والتبرك للأولياء الصالحين في إفريقيا الشمالية وحاول البحث عن جذور أصول هذه الطقوس وكذلك لديه كتاب بعنوان "سحر وديانة " تحدث فيه دوتي عن الحياة الدينية والمعتقدات من احتفالات كبرى في إفريقيا الشمالية وكذلك تحدث عن السحر الإسلامي[3].

على ضوء ما تم تقديمه يمكن إبراز خصائص الكتابات الأنثروبولوجية الأكاديمية المتخصصة فيما يلي:

- ألفها أساتذة متكونين لهم علاقة بالسكان الذين ألفوا عليهم أبحاث ودراسات
- منتجة من طرف نخبة مثقفة
- أسلوبها دقيق
- إنتاجها ضئيل

–وظيفتها المعرفة من أجل النقد[4]

---

[1]– بوجمعة فريدة، أبحاث المستشرق الفرنسي ريني باسي حول تاريخ الجزائر خلال الفترة القديمة (تاريخ الأمازيغ أنموذجا)، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد11، العدد3، جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله، 2023، ص 92.

[2]– إيدمون دوتي: ولد إيدمون دوتي عام 1867 بمدينة " إيقرو " الفرنسية ، وأنهى دراسته بمنطقة " شالون شيرمان " الفرنسية درس علم المتاحف والعلوم الطبيعية ثم الآداب بباريس التحق سنة 1892 بالأوراس الجزائرية إداريا ثم التحق بوهران محررا سنة 1894 خلالها تابع دراسته على يد موليبراس ، وحصل بعده على عطلة من أجل تحضير دبلومه في مدرسة الآداب ، حيث استجاب للعمل الذي أنجزه لرينيه باصيه وهذا النجاح جعله سنة 1898 يصبح أستاذا للآداب بمدرسة تلمسان بعد ذلك أرسل إلى المغرب وتوفي 1926 أما أعماله الأدبية لدينا ملاحظات حول الإسلام المغاربي: الأولياء ألفه سنة 1900 بمجلة تاريخ الأديان وملاحظات حول الإسلام المغاربي: الزوايا سنة 1900 ثم الكتاب الأهم الدين في إفريقيا الشمالية سنة 1909 ينظر إلى: محمد بومدين، الدين والمعتقد في تلمسان أواخر العهد العثماني عند إيدمون دوتي الأولياء و المتصوفة أنموذجا، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد 11، العدد 2، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2023، ص 88–91 .

[3]–عبد النور غرينة، الأوراس في الكتابات الفرنسية إبان الفترة الكولونيالية 1840–1939، المرجع السابق، ص 138–139.

[4]– المرجع نفسه، ص 144.

المبحث الثالث: الأعراق في الجزائر من المنظور الفرنسي

رأى" فاليني"(Gallieni) " **أن دراسة الأعراق المقيمة بمنطقة ما هي التي تحدد التنظيم السياسي الواجب منحه لها والأدوات الواجب استعمالها لبلوغ تهدئتها**"[1]. ولهذا عملت فرنسا على تكثيف جهودها بتأليف مختلف الدراسات حول عرقيات المجتمع الجزائري للوصول إلى غايتها.لقد قدم واريني إحصاء لعدد الجزائريين المسلمين سنة 1865 البربر: 1.000.000 نسمة، البربر المستعربون: 1.200.000 نسمة والعرب: 500.000 نسمة[2] ما يمكن قوله حول إحصائيات واريني لسكان الجزائر، تبدوا خاطئة لأن هذا الأخير معروف بعدائه للعرب، فهذه النسبة بينت العرب كأقلية مقارنة بالبربر فهو الذي اخترع النظرية القائلة بوجود عرب تبربرو وبربر تعربو.

1/ البربر:

أ-نماذج عن بعض الكتابات الفرنسية التي تحدثت عن المجتمع القبائلي:

في المرحلة التي امتدت من الغزو إلى غاية سقوط الإمبراطورية الفرنسية، تولى العسكريين حكم الجزائر، فأرادوا إحكام سيطرتهم على كافة التراب الوطني وترويض شعبه. لذا كان عليهم دراسة المجتمع الجزائري ومعرفة كل صغيرة وكبيرة عليه، فلذلك سخرت فرنسا الباحثين الأكاديميين منهم والعسكريين لدراسة هذا المجتمع عامة ومنطقة القبائل خاصة[3].ويمكن أن نلخص دوافع اهتمام فرنسا بمنطقة القبائل في النقاط الآتية[4]:

-محاولة فرنسا البحث عن حلفاء وخلق انقسام في المجتمع ينطلق من مبدأ "فرق تسد "

---

[1]- كميل ريسلير، السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر أهدافها وحدودها (1962-1830)، تر: نذير طيار، ط1، دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني، الجزائر، 2016، ص 75.

[2]- سميرة أنساعد، صورة الأنديجان في الرحالات الفرنسية أثناء القرن التاسع عشر الميلادي، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، المجلد 03، العدد 02، الملتقى الدولي حول التطور التاريخي لصورة الجزائري في الخطاب الكولونيالي، 2009، ص 32.

[3]- المرجع نفسه، ص 42.

[4]- حمدي عيسى، فرنسا الكولونيالية وسؤال الهوية في منطقة القبائل، مجلة الحوار الثقافي، المجلد05، العدد02، قسم العلوم الاجتماعية -جامعة مستغانم، 2015، ص 42.

-محاولة القضاء على مصادر الخطر لأن منطقة القبائل معروفة بالتمرد[1]

-وجدت فرنسا ضالتها في منطقة القبائل لتجعلها حقل تجارب لسياستها ولتسهل عليها في المستقبل الهيمنة على المجتمع الجزائري[2].

ولأن المنطقة حسب مفهومهم أكثر تقبلا وتأثيرا على باقي أقاليم الجزائر، فهي منطقة قريبة من مدينة الجزائر العاصمة وبيئتها كثيفة السكان وصعبة التضاريس ومحدودة الموارد لا تتقبل الاستيطان الأوروبي الواسع ولا تسمح بالاستغلال الاقتصادي الرأسمالي، فضلا عن كونها إقليما يتميز بخصائصه من حيث لغة السكان وعاداتهم الخاصة التي جعلت الفرد القبائلي يتمسك باستقلاليته ويعتز بانتمائه القبلي ويرفض الاندماج مع غيره ويجهد نفسه في الحصول على قوته وتوفير حاجياته.[3]

فبعد إخضاع منطقة القبائل وإخماد مقاومة رجال الزوايا بها انصب الاهتمام عليها من قبل الضباط الفرنسيين العاملين بالمنطقة كما تركز نشاط الباحثين الفرنسيين المختصين بالشؤون الأهلية على رصد مايميز العنصر القبائلي عن غيره من الجزائريين وذلك بتشجيع من الحكام العامين بالجزائر.[4]

وفي النقاط التالية نوضح أهم المشتغلين عليهم وما قدموه من طروحات حولهم:

-الجنرال دوفيفير:

لقد تحدث الجنرال "دوفيفير"(Duvivier)عن المجتمع القبائلي في كتابه "حل المسألة الجزائرية" ويقول بأن القبائلي يتمتع بشخصية ثابتة مقارنة بالعربي، لا يستسلمون بسهولة، يلتزمون بكلمتهم ويدافعون عليها بشرف.وأن القبائل بطبيعتهم معادين للعرب ويعتقدون أنهم متفوقون عليهم كثيرا. إضافة إلى ذلك يحبون العمل ويكرسون أنفسهم له، فنجد في منازلهم ورش للعمل، ويشارك القبائلي في الانتخابات ويحضر المناقشات في الاجتماعات لأنه يمكنه دعم الرأي الذي يشاركه، ويتم تعين شيوخهم وإقالتهم بالانتخاب. أما

---

[1]- محمد نجيب بوطالب، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،2002، ص 70.

[2]- بوضرساية بوعزة، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر 1830-1930"وانعكاسها على المغرب العربي، دار الحكمة، الجزائر، 2010، ص 8 .

[3]- سعيدي مزيان، السياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل ومواقف السكان منها (1871-1914)، مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية الاجتماعية، قسم التاريخ، الجزائر،2009، ص 129.

[4]- المرجع نفسه، ص 129-130.

العربي على عكس من ذلك فهو متحرك بالموقف والشخصية ويضيف أيضا أن المجتمع القبائلي يرفض الاستبداد[1].

-لادي هربرت:

لقد توالت التقارير الفرنسية التي حاولت جمع سمات ساكني هذه المنطقة من بينهم السيدة "هربرت" (Herbert) التي تحدثت هي الأخرى عن القبائل في كتابها: "توضيح الجزائر المعاصرة L'Algérie contemporaine illustrée.وقالت أن القبائل شعب مختلف عن بقية سكان الجزائر، فبدلا أن يجلس العربي الملتف ببرنوسه على باب مقهى أو عند مدخل خيمتة خاملا على الدوام تقريبا، يقابله جنس مجتهد، صبورا ومثابر مكرسا نفسه للزراعة يمشي بمحراثه بتعب، رغم شدة انحدار أراضي القبائل.[2]

فلم يثن ذلك عزيمة الفرد القبائلي، بل جعله يتحدى قسوة الطبيعة ويبدع في استغلالها، فيزرع ما يأكله ويشكل القبائلي برأسه العاري تناقضا مع العربي الذي يرتدي دائما غطاء الرأس بعناية. وتكمل واصفة الفرد القبائلي على أنه رزين يكره الحياة البدوية ويحب منزله وعمله ماهر جدا في جميع أنواع المهن ولا يستسلم أبدا للعقبات التي يواجهها. هذا الشعب مضياف وانتقامي وعادة ما يكون أحادي الزواج والمرأة أقل شأنا بينهم. أمادين هؤلاء فهو الإسلام ولكن شكليا فقط،حيث ليس لهم معتقدات دينية.[3]

ثم بعدها انتقلت إلى وصف لباس النساء القبائليات وأعجبت بالمجوهرات التي تتصنعن بها. ولفت انتباهها كذلك وشم النساء القبائليات، فكان رمز ذلك الوشم إما صليب أو سعفة نخيل وتحدثت عن زواج الفتاة القبائلية، حيث قالت أنها تتزوج في سن الرابع عشر ولكن بفعل الكد والمشقة التي تتعرض لها تتحول هذه الفتاة إلى عجوز في الثلاثين.[4]

---

[1]-Général duviver, La solution de la question de L'Algérie,Imprimer et libraire miltaire de gaulter-laguione rue et passage dauphine ,36, paris , 1841 , p152-153.

[2]-Herbert lady,L'Algérie contemporaine illustrée ,victor calmé rue des saints ,Paris 1881, pp178

[3]-Ibid,178,190.

[4]-Ibid, p190,195.

- **أرنست** (Ernest fallot):

درس المجتمع القبائلي من خلال كتاب ماوراء البحر الأبيض المتوسط: القبائل والأوراس La de la Méditerranée : kabyle Aurès krounieri. فذكر بأن القبائل شعب ذكي ومجتهد، يحبون العمل ويقدسونه ويلا يخجلون من أي عمل مهما كان نوعه، يتصفون بالمثابرة وكذلك لديهم شغف كبير بالزراعة وعنيدون يسعون لتحقيق أهدافهم حتى النهاية. وهذه الصفات تمكنهم من تحقيق النجاح في أي مجال. ويرى بأن المجتمع القبائلي يتميز بكرم الضيافة فهم لا يمارسونها بشكل عابر بل هي مؤسسة وطنية راسخة في جميع القرى والبلدات، فالغريب أيا كان يُستقبل كصديق أو كفرد من العائلة، فيتم إيواؤه وإطعامه طوال مدة إقامته، وهذه العادة العظيمة متجذرة بعمق في قلوب كل قبائلي لدرجة أنهم خلال المجاعة التي دمرت الجزائر سنة1867 استقبلوا بأذرع مفتوحة 12ألف عربي أعدائهم بالوراثة لعدة أشهر. ويضيف أيضا بأن[1]

دين القبائل هو الإسلام، لكن ممارسة الطقوس الدينية كالصلاة والصوم محدودة للغاية، فتصرفاتهم وتشريعاتهم السياسية والمدنية منافية تماما للروح الإسلامية. وأعطى خلاصة لكل هذا أن القبائليون مرتبطون بالدين الإسلامي بالتقاليد أكثر بكثير من اقتناعهم الشخصي، ويرى بأن الإسلام أدخل عليهم بالقوة وأجبروا على اعتناقه، فالقرآن الذي يعتبر كتاب مقدس لهم إلا أنه بقي حبرا على ورق، والمرابطون أنفسهم الذين يدّرسون القرآن في المدارس لم يتمكنوا من شرح معنى الآيات التي يتلونها، فالإسلام في ظل هذه الظروف لم يتغلغل بعمق في منطقة القبائل[2].

وما يمكن ملاحظته من كل هذا أن أرنست حاول إظهار القبائليين بأن ديانتهم ضعيفة وأنهم أجبروا على اعتناق الإسلام، لكنه تناسى بأن هذه المنطقة تعتبر حامية للدين وحافظة لمرجعية هذه الأمة والمتتبع لقوانين المنطقة يجد بأن القرآن هو المصدر الرئيسي لها ثم السنة الشريفة ثم اجتهادات العلماء على وجه الخصوص علماء المذهب المالكي. ولقد شهد بهذا الكُتّاب الفرنسيون أنفسهم، من بينهم "هانوتو" الذي بيَّن في كتابه

[1] -Ernest fallot ,par delà la Méditerranée kabylie ,Aurés ,Kroumirie, librairie plon ,E,plon, impraimeurs-édielrs,1887, pp 54-55.

[2] -Ibid ,pp 69-71.

"القبائل والأعراف القبائلية " في أكثر من موضع أن معتقدات القبائل تساير دين محمد صلى الله عليه وسلم، ثم أن مكانة الأحكام الشرعية والآداب الإسلامية متعامل بها في المنطقة[1].

وفي وصف آخر لباحث آخر وهو **شاتلين**، ذكر أن الرجال في منطقة القبائل نشيطون ومجتهدون يحبون المشاركة في الزراعة يحرثون الأرض، وتقوم النساء بإحضار المحاصيل ويذهبن كل صباح لجلب الماء وفي البيت ينسجن الملابس كالبرنوس المصنوع من الصوف. أما الأطفال فهم أذكياء ويتعلمون بسرعة والآباء يدركون فائدة التعليم على البنون ولكنهم يجيدون صعوبة في تعليم البنات. وتعتبر المرأة في هذا المجتمع كائن أدنى تشتغل مساحة صغيرة في المنزل وغالبا ما تتلقى العصا كتوبيخ. وتتمتع النساء القبائليات بحرية أكبر من النساء العربيات وغالبا ما يخرجن دون حجاب. ويضيف أيضا أن المجتمع القبائلي ملتزم بالممارسات التعبدية مثل الصلاة وصيام رمضان، لكنهم ينهبون ممتلكات الغير ويقتلون الرومي[2].

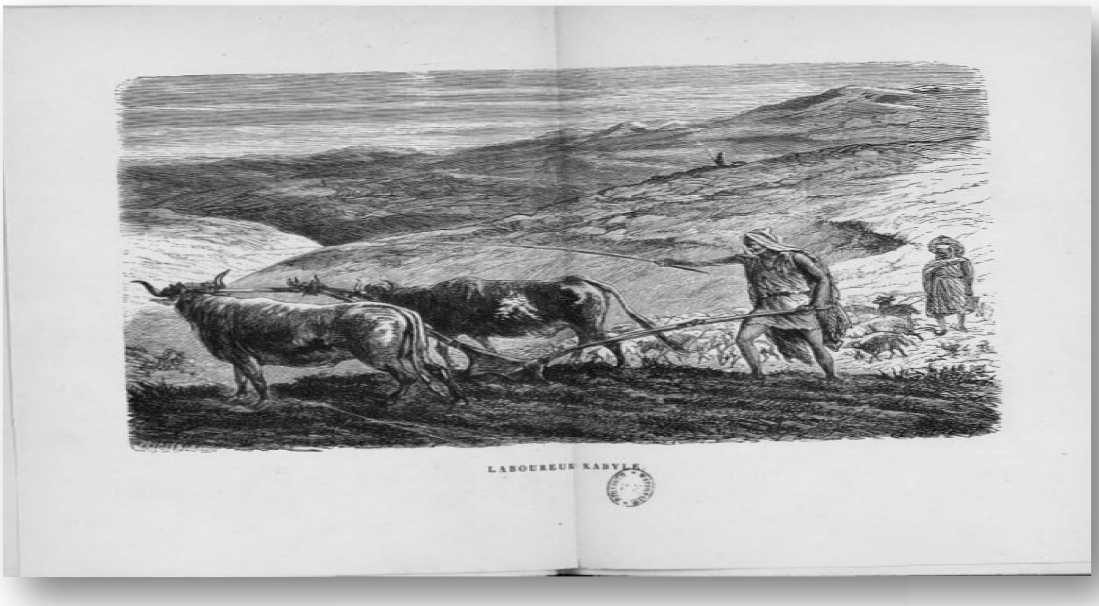

الشكل01: صورة توضح ممارسة الزراعة في منطقة القبائل

المصدر:Ernest ,fallot, op. cit.p39

[1]– جمال كركار، حاضرة بجاية ودورها في الحفاظ على المرجعية الدينية في الجزائر، مجلة الحضارة، المجلد16، العدد27، كلية العلوم الإسلامية ، جامعة الجزائر– 1– 2014، ص 140.

[2]–Châtelain p(Abbé) : En Algérie la kabylie et les oasis du sud ,imprimerie Cath ,L . Cloix ,9 , rue ferdinand –Gambon ,9 , NEVRS .1896,pp 51,53.

-ميستر جولي (Maistre jules): تحدث جولي عن سكان منطقة القبائل في كتابه "أخلاق وعادات القبائل". ففي الفصل السادس تحدث عن قبائل جرجرة وذكر صفاتهم وقال لكي نتحصل على فكرة دقيقة على قبيلة جرجرة لابد أن نأخذ بعين الاعتبار صفاتهم من الداخل والخارج. فبدأ في وصف سلوكهم قائلا أن القبائلي مرح للغاية ومضياف مثل العربي وأكثر نشاط منهم ومفعم بالحيوية، مجتهد وصبور، شجاع في ساحة المعركة كما رأينا في فتوحات مصر، فضولي يسعى إلى فهم كل ما يراه. وبعد ذكر الصفات الإيجابية لهذا المجتمع لم يغفل عن ذكر عيوبه وقال بأن القبائلي سريع الغضب وحساس وانتقامي.[1]

علاوة على ذلك فهو لا يخجل من استعمال أي وسيلة حتى ولو كانت غير شريفة لكسب قضيته وهو مؤمن بالخرافات ويخشى لعنات مرابطيه. ثم انتقل إلى وصف المنطقة واصفا إياها بالمستقرة، منازلهم في الجبال على قمة شديدة الانحدار ثم انتقل إلى وصف العائلة القبائلية أين قال أن منازلهم مغطاة بالبلاط وتحدث عن رب الأسرة وقال بأنه يأمر والزوجة تطيع. وإذا كان لديه إخوة فإنهم مدينون له بالطاعة، أما زوجته تأمر باقي النساء في المنزل

الشكل02 : يوضح صورة للمرأة القبائلية.

المصدر: Robert georges. voyage à travers l'Algérie notes et croquis, imprimerie de G rougier et ,rue cassette. Paris. 1891 P 85.

[1]-Maistre jule، Mœurs et coutmes kabyle,imprimere de la manufacture de lacharité,Montpellier, 1905, pp.3-2

الشكل03: يوضح رسوم تمثيلية للمرأة القبائلية.

المصدر:Robert Georges , op. cit, pp79,165.

وأن الزوجة لا تأكل مع زوجها أبدا وتخدمه بإخلاص واحترام وتستمع إليه وهو يتحدث ونادرا ما تخلط صوتها بصوته [1]

ب-نماذج عن بعض الدراسات الفرنسية التي درست المجتمع الشاوي:

-**إيميل مسكاري:** تحدث إيميل ماسكاري في كتابه "تشكل المدن" عن المجتمع الشاوي أين أكد أن عرش أولاد عبدي من نسل بورك الروماني الذي كان ينحدر بالقرب من منبع يسمى عين الرومي[2].ويلاحظ أن إيميل ماسكاري بالغ عندما رأى أن بعض المناطق من الأوراس مثل سكان قرية منعة[3] يقيمون احتفالات ذات أصل "وثني" أو مسيحي كدلالة على المصالحة بعد مضي فصل الشتاء وحلول الربيع وهذا

[1]-Maistre jule,OP.Cit, pp3-5.

[2]-Masqueray Emil, Formatoin des citès chez les populations sèdentaires de L'Algèrie (Kabyles du Djurdura , chaouia de l'Aouras , beni Mzab) , thèse prèsentèe A la Facultè Des lettres de paris , 1886 , pp 26 ,164.

[3]- منعة: تقع دائرة منعة في قلب الأوراس الغربي وهو موقع جغرافي وسطي بالنسبة لناحية الأوراس وبالنسبة للصحراء والتل، يمر عليها الطريق الوطني رقم (87) باتنة بسكرة وهي تبعد عن باتنة بحوالي (80 كليو متر) شمالا وعن بسكرة بحوالي (60 كلم) جنوبا أما حدودها تحد دائرة منعة شمالا دائرة بوزينة والشمال الشرقي دائرة ثنية العابد، وشرقا دائرة أريس، وجنوبا دائرة جمورة بولاية بسكرة ينظر إلى : السبتي بلقاسم بودوح، منعة جوهرة الأوراس تاريخها في القديم والحديث، د.ط ، مطبعة قرفي عمار، باتنة، د.س.ن، ص 56.

تأكيد منه أن الإسلام لم يستطع القضاء عليها[1].وذكر أيضا العديد من احتفالاتهم من بينها:

-**الاحتفال بعاشوراء**:عمل ماسكاري على إثبات ابتعاد سكان الأوراس عن الإسلام حينما كتب قائلا "**صادفت تقليدا يهوديا عند أولاد داود عندما سألت كبير قبيلتهم عن سبب احتفالهم بعاشوراء أخبرني أنه كان إحياء لذكرى اليوم الذي أنجى فيه الله موسى من فرعون**"[2].

-**الاحتفال بيناير**: يتم الاحتفال بالعام الجديد (السنة الفلاحية)، فيقدم في هذا الاحتفال اللحوم والبيض وكذلك يتم غسل جميع الملابس وتغيير جميع الأشياء القديمة مع إقامة احتفال، يتم فيه الرقص والغناء.وبعدها يخرج أهل منعة رجالا ونساءً وأطفالا في الصباح ويذهبون إلى الجبال ويقومون بجلب الأغصان والأعشاب الخضراء وهذا المشي يحدث على صوت المزامير.وبعد ذلك يعودون إلى المدينة وبعد الغداء تلعب النساء الكرة وفي الطرف الأخر يقوم الرجال بإطلاق النار كتعبير للفرح.[3]

ومن خلال ما تم ذكره نستنتج أن إيميل ماسكاري حاول جاهدا أن يجد الصلة التي تربط الشاوية بيناير برأس السنة عند المسيحيين؛ لكن كلاهما يختلفان في الهدف، فالاحتفال بيناير عند الشاوية يقام كترحيب بالسنة الفلاحية، فلذلك نستطيع القول أن الاحتفالين يختلفان في الهدف والتصورات ولا يمكن أن يتوافقا.

-جوزيف رولاند:

تحدث "جوزيف رولاند"(Joseph Roland) في كتابه "دراسة عن بلدية الأوراس المختلطة 1894" عن أخلاق وعادات الشاوية فخصص لها جزئية في الفصل الأول وتحدث عن نساء الأوراس (الشاويات)، فوصفهن بأبشع الأوصاف حيث كتب:" ... **ليس لديهن أي أخلاق على الإطلاق إذ يمارسن الدعارة وأن الفتيات ينتظرن زواجهن الأول بقلق، فعندما يتم ذلك يتسارعن إلى الطلاق بدعوة الحصول على رزقهن ليحصلوا في أعينهم الحق للهروب للممارسة الدعارة**"ويضيف شارحا لهذه الفكرة كاتبا:

[1]-عبد النور غرينة، المجتمع الجزائري في الكتابات الأنثربولوجية الفرنسية حالة الشرق الجزائري إبان الفترة الاستعمارية 1880-1962، المرجع السابق، ص94.

[2]-Masqueray , Formation des citès , op.cit , p164.

[3]-Masqueray Emil , Voyage dans L'aures , Bull soc geog , tom 12 , sixiemè sèrie , 1876 , pp 48-49.

"إن هذه القاعدة العامة لا تشمل سوى القليل من الاستثناءات الأكثر شيوعا، ففي هذه الحالة المذكورة ينتج عنها ولادة الطفل من هذا الزواج الأول، فتصبح روابط الزوجين أوثق بشكل طبيعي ومع ذلك يحدث أن تطلب المرأة وهي زوجة وأم الطلاق وبعد حصولها على ذلك تمارس الدعارة دون قيد أمام أعين أطفالها".[1]

ويرى رولاند أن هذا الفعل غير الأخلاقي ينتج عنه أو يؤدي إلى اضطراب في الأجناس ويرجع السبب في انحلال أخلاق الشاوية للعرب حيث يقول:" **... من المفترض أن هذا الوضع الأخلاقي لا يعود إلى زمن بعيد، بل هو نتيجة لهيمنة العرب**[2]".

ويرجع مرة أخرى ويتحدث عن نساء الأوراس أي الشاويات، حيث يرى أن جمالهن الذي يضرب به المثل مبالغ فيه فكل ما يلفت الانتباه في المرأة الشاوية هو سهولتها.وبعد ذلك تطرق إلى وصف أخلاق عرش من عروش الشاوية ألا وهو عرش أولاد عبدي فقال:" **... إن سمعتهم كمحاربين شرسين يجب أن تتقلص اليوم فهم لا يتمتعون بشجاعة وهذا راجع إلى انحلال أخلاقهم وحالة العبودية التي يعيشونها مع نسائهم**".ولم يكتفي رولاند بذكر أخلاق أولا عبدي فقط، بل تحدث عن عرش أخر ألا وهو أولاد داود[3] فيرى أن لديهم نفس التصرفات الغير الأخلاقية التي يمتلكها أولاد عبدي ويخص في حديثه أولاد داود قائلا: " **... يتمتعون بشخصية متعصبة وأكثر استقلالية من جيرانهم في واد عبدي، كونهم يعيشون في وسط جبال شديدة الانحدار منعزلين تماما هذا ما ساعدهم في ممارسة الدعارة بشكل سري**"[4].

-دوروتي شيلي:

هناك دراسة أخرى ذات طابع أنثربولوجي للطبيبة "دورتي شيلي"(Dorothée cheller) والمعنون بـ"رحلة

---

[1]-Joseph Roland,ètude sur la commune mixet de L'Aurès , Imprimerie typographic a. beun, Rue de sètif,1894 , pp 21-22.

[2]-Ibid, pp 21-22.

[3]- أولاد داود: أو التوابة وهم بربر الشاوية يقطنون في الجزء العلوي من الواد الأبيض ممن ممر تيغانيمين إلى منبع هذا الوادي عند سفح جبل إشمول، الأمر الثاني أن التموجات التي تفصل شمال هذا الوادي هي سهول إشمول المقابلة لجبال شليا ومدينة تاحمامت ينظر إلى:

Masqueray Emil ,Note concerant les Aouald –Daoud du mont Aurès (Aouras) , Adolphe Jourdan ,Libraire –èditeur ,4 ,place du gouvernement , Alger , 1879 , pp 11-12.

[4]-Joseph Roland ,op. cit , pp 22-23.

في الأوراس" والمنشورة عام 1898 وسجلت دورتي شيلي في كتابها هذا العديد من الملاحظات عن سكان

إذ تحدثت عن المرأة الشاوية فوصفت الحلي الذي تتزين به فقالت المنطقة،: "**جميع حلي نساء الأوراس من الفضة تتزين به المرأة الفقيرة والثرية والشابة والعجوز كلهن يرتدين هذه الجواهر**". [1]

(01) (02)

الشكل04: يوضح صورتان لحلي المرأة الشاوية.

مصدر الصورة (01): Adam Sierakowsky , Das schaui , ein beitrag zur berberischen sprach–und volkskunde , Dresden , Kraszewski ,1871 , 137is, p242 .

مصدر الصورة (02): Fanny Colonna, Aurés Algérie Photographies de thérése Riviére ,OPU Alger /MSH , paris ,1987, pp129-130

وذكرت أن المرأة الشاوية تعمل أعمال شاقة حتى وهي حامل إذ لا تهتم بصحتها حيث تعمل في الحقول وتحصد وتجلب الحطب وتقوم بحمل على ظهرها حزمة هائلة منها (الحطب). وتكمل دوروتي حديثها عن المرأة الشاوية إذ تعدت وصف شكلها الخارجي فقد وصفت أخلاق نساء أولاد عبدي فقالت: " ... **ليس لديهن أخلاق إذ يمارسن الإجهاض فلا يرون فيه جريمة**". وذكرت بعض الوسائل التي تستعملها نساء المنطقة لإجراء هذه العملية من بينها امتصاص البارود[2].

[1]–Dorothèe Cheller, Voyage dans L'aurès Not D'un mèdecin Envoyè en mission chez les femmes arbes , Tizi –Ouzou , Alger : imp nouvelle j. chellier , 1898 , pp 15.

[2]–Ibid, pp17,21.

- إدمون دوتي:

تطرق دوتي(Edmond Doutte) إلى المجتمع الشاوي في كتابه الموسوم بـ"ملاحظة عن الإسلام المغاربي- المرابطون" الذي نشر سنة 1900، إذ تحدث دوتي في كتابه هذا عن نساء الأوراس أين أورد أن المرابطية هي شعيرة الأهالي في إفريقيا، فهويرى مثل غيره (جوزيف رولاند ودولاتيق) أن نساء أولاد عبدي يمارسن الدعارة بالرغم من سكنهن في بيوت عائلاتهن وأن أولياءهن يرون تلك الممارسات شيء طبيعي وعادي[1]. وبعد أن علمت السلطة الإدارية الفرنسية وأرادت تنظيم هذه الدعارة، عارضها جميع السكان بدعوى أن هذا الإجراء من شأنه أن يضر بوفرة المحاصيل، فحسب زعم دوتي أن سكان المنطقة يرون أن البركة هنا مرتبطة بالدعارة [2].

ولدينا دراسة أخرى لدوتي بعنوان"سحر وديانة في شمال إفريقيا"، تحدث فيها عن احتفالات بعض مناطق الشاوية وذهب إلى نفس ما ذهب إليه ماسكاري، حيث يرى أنه يوجد في خنشلة عادات شعبية مشابهة لما هو موجود في فرنسا مثل الاحتفال الذي يقام بمناسبة عاشوراء،[3] فيقول عنه "عيد العشور الإسلامي"، أي العاشر من شهر محرم وهو الشهر الأول من السنة الإسلامية ويقدم فيه السكان الأكل مثل أكلة الفاصوليا ويعتقدون أنه في هذا اليوم يجب على المرء الامتناع عن ضرب الأرض بالعصا ويواصل دوتي شرح تفاصيل هذا الاحتفال ويقول:" **سألتهم عن سبب هذا الامتناع، فيجيبون بسبب ذكرى خلق الأرض الذي كان في ذلك اليوم فعندما يأتي المساء، ينتشرون في الشوارع متنكرين بأقنعة تشبه الحيوانات كالأسد والجمل ..**"[4].

-دولاتيج:

ويذهب " دولاتيج"(Delartigue) في نفس الطرح الذي جاء في كتاب رولاند، حيث أنه وصف في كتابه "دراسة الأوراس 1904 " الشاوية أولا من ناحية الشكل فقال:" **أن الشاوية جمعيهم بلا استثناء لديهم بشرة بيضاء بالرغم من أنها أحرقتهم الشمس وبشرتهم أشد بياض من العرب**". فشبه الشاوية بالأوروبيين من

---

[1]-عبد النور غرينة، الأوراس في الكتابات الفرنسية إبان الفترة الكولونيالية 1840-1939، المرجع السابق، ص139.

[2]-Edmond Doutte, Notes sur l'islam Maghèbin ,les Marabouts , in Revue de L'histoire de Religion , tome XI et XLI , paris , Ernest leroux , èditeur 28 , Rue bonaparte , 28 , 1900 , p98.

[3]-عبد النور غرينة،الأوراس في الكتابات الفرنسية إبان الفترة الكولونيالية 1840-1939، المرجع نفسه، ص 140.

[4]-Edmond Doutte , Magie & Religion dans L'Afrique du nord , typographie Adolphe Jourdan Imprimeur – libraire- Editeur , 9, place de Règence ,9, Alger , 1909 ,pp 496-497.

ناحية مظهرهم حيث قال: "**لا يمكن تميز الشباب خاصة الذين تتراوح أعمارهم 15 أو 16 عاما والذين يرتدون ملابس على الطراز الأوروبي عن الشباب الإنجليز من نفس العمر**"[1]. وتطرق دولاتيج في كتابه هذا إلى المرأة الشاوية أين أكد أن جمالها كان سبب في وصفها من قبل الكثير من الرحالة الذين زاروا المنطقة.

وبعد ذلك تحدث عن أخلاقهم أين وصف المرأة الشاوية بأبشع الصفات فقال: "**أن نسائهم ليس لديهم أخلاق تنتظر الفتيات زواجهن الأول بفارغ الصبر ثم يتسارعن بعد ذلك للطلاق للحصول على الحق في الانغماس في الدعارة دون قيد** ". ويضيف دولاتيج شارحا "**إنها قاعدة عامة لا تتضمن سوى عدد قليل جدا من الاستثناءات الناتجة في أغلب الأحيان عن ولادة طفل في الزواج الأول، فتصبح روابط الزوجين أقرب.ومع ذلك يحدث أحيانا أن تطلب المرأة والزوجة والأم الطلاق، وبعد الحصول عليه تمارس الدعارة دون قيد أمام أطفالها**".[2]

وصف دولاتيج عرش أولاد فاضل وبني فرح فقال عليهم أنهم لطفاء وأن المرأة عندهم تتمتع بحرية كبيرة عكس المرأة العربية؛ يسافرن بمفردهن ويعملن في الخارج مع الرجال وكذلك تحدث عن المرأة المطلقة والأرملة عند هذين العرشين حيث قال: "**أنها حرة في تصرفاتها، وتقوم بأعمال غير أخلاقية للحصول على المال**". وأرجع انتشار معظم الجرائم والسرقة عند أولاد فاضل لهذه الأعمال غير الأخلاقية التي تقوم بها المرأة ووصف أيضا أخلاق أولاد عبدي بصفات دنيئة، فلم يقف عند أخلاق الشاوية وشكلهم بل تحدث عن احتفالاتهم (مهرجان الخريف ورأس السنة). وقد حاول أن يثبت أن تعاقب الحضارات على سكان الأوراس ترك آثارا على عادات هؤلاء، واعتمد على طرح ماسكاري الذي حاول أن يثبت أن هذه الاحتفالات التي يقوم بها سكان الأوراس ذات أصل مسيحي.[3]

ومن خلال اطلاعنا على عادات وأخلاق الشاوية في الأوراس في كتاب جوزيف رولاند وكذلك اطلاعنا على عادات وأخلاق سكان الأوراس في كتاب دولاتيج لاحظنا أن هذا الأخير عند ذكره للصفات الغير أخلاقية للمرأة الشاوية اعتمد على كتاب رولاند بعبارة أخرى نستطيع القول أنه أخذ المعلومات كما هي بنفس

[1]–Delartigue , Monographie de l’aures , document sur batna et sa region ,constantine , 1904 , pp199–200.

[2]–Ibid, p200.

[3]–Ibid,pp 201–203.

الأسلوب وبنفس الطرح. وبالتالي نستنتج أن دراسة دولاتيج ليست علمية كونها غير مبنية على مرجعية حيث أراد من خلالها إيصال صورة مشوهة عن المرأة الشاوية.

ونستنتج من خلال ما سبق ذكره أن عند التمعن في المصادر التي كتبت عن المجتمع الشاوي بصفة عامة والمرأة الشاوية على وجه الخصوص، حيث نجد أن أغلب هذه الدراسات لم تكتب بعين مشاهد بل نقلت عن بعضها البعض وهذا يفقدها ميزة الموضوعية والعلمية وأيضا أغلب هذه الدراسات حاولت أن تشوه المرأة التي تمثل عمود المجتمع، وبالتالي أرادت تكوين صورة منحطة عن المجتمع الأوراسي.

ج-نماذج عن بعض الكتابات الفرنسية حول مجتمع بني مزاب:

-بول صولييه:

تحدث "صولييه"[1](paul soleillet)عن بني ميزاب في كتابه المعنون بـ"غرب إفريقيا (الجزائر، ميزاب وتيلديكت)"، حيث أورد أنه يطلق على هؤلاء السكان ميزاب أو بني ميزاب وهم يشكلون شعبا صغيرا من البربر يبلغ عددهم حوالي خمسين إلى مائة ألف نسمة.حافظوا على عاداتهم وتقاليدهم ولم تؤثر فيهم أي ثقافة أجنبية[2]، وذكر أيضا تاريخ هؤلاء منذ اعتناقهم للإسلام إلى غاية زيارته لهم حيث قال: "**إن بربر بني مزاب أقبلوا على الإسلام مثل كل شعوب إفريقيا الشمالية**".وفيما يخص عاداتهم ذكر أن نساء بني مزاب تشتغل بالنسيج لصناعة الحايك والبرنوس والسجادات.[3]

---

[1]- بول صولييه: ولد بول صولييه في مدينة نيم الفرنسية سنة 1842، كان صولييه مولعا بالسفر والمغامرات منذ طفولته لذلك شعر بالانجذاب بشكل خاص إلى إفريقيا التي كانت تعتبر وطنه الثاني، حيث زار الجزائر في عامي1865 -1866 ثم زار تونس، وفي عام 1870 انضم إلى المشاة وتم تعينه عريفا بالجيش الفرنسي، توفي صولييه مصابا بالحمى في 1888 وتم نصب تمثال له في مدينته ينظر إلى:

Faucon Narcisse , Op.cit , pp526-527.

[2]-Soleillet Paul , L'Afrique occidentale(Algèrie , mzab , tildikelt) , le méme ouvrage,1 volume in -18 .En vente, à paris, chez challamel ainè èditeur,5, rue jacob, paris ,1877, p71.

[3]- مرجاني عبد القادر، الصحراء الجزائرية من خلال الكتابات الأوربية خلال القرن 19" بول صوليه أنموذجا"، مجلة الدراسات التاريخية،المجلد19 العدد 22، المركز الجامعي أفلو (الأغواط)، ص 155.

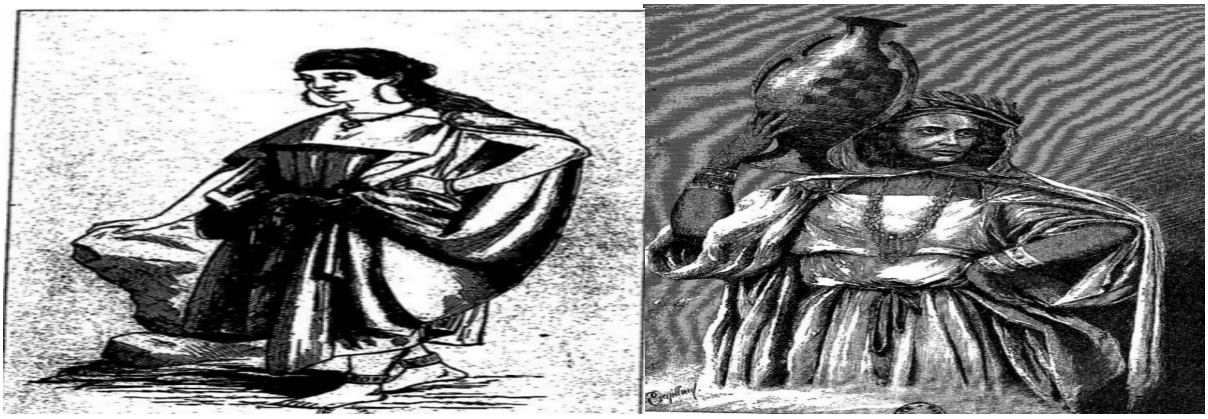

(02) (01)

الشكل05: يوضح صورتان للمرأة المزابية.

مصدر الصورة (01) Gros julels , paul soleillet en Afrique , bibliothèque coloniale et de voyage , paris ,1888,p33.

مصدر الصورة (02): Robert georges , op cit, p36

ومايمكن ملاحظته أن هذه العرقية من المجتمع الجزائري لم يتم دراستها بشكل كبير من طرف الباحثين الفرنسيين مثل باقي الأعراق الأخرى و حسب رأينا يرجع ذلك إلى أن فرنسا عقدت معاهدة مع بني مزاب في 29 أفريل 1853، حيث يقوم هؤلاء بدفع جزية سنوية قدرها 4500 فرنك في المقابل تلتزم فرنسا بعدم التدخل في إدارتها الداخلية ويلتزم بني مزاب بعدم التعاون مع أعدائها، أي أن بني مزاب لم يشكلوا خطرا كبيرا على المصالح الفرنسية بعد عقدهم معاهدة معها[1].

د-نماذج عن بعض الدراسات الفرنسية التي درست المجتمع التارقي:

-دوافع اهتمام الفرنسيون بالطوارق:

يندرج اهتمام الفرنسيين بالطوارق ضمن اهتمامهم العام بجنوب الجزائر والصحراء[2].فبعد أن سيطرت فرنسا على الجزائر واستقرت بها منذ سنة 1830، بدأت في تأسيس جمعيات وتدعيم علماء ورحالة من أجل غزو الصحراء واكتشافها[3].ويمكن تسجيل البداية القوية للرحلات الاستكشافية الفرنسية في الجنوب الجزائري

---

[1]-Robert georges, op. cit, p333.

[2]- مولود قاسم نايت بلقاسم، عن تاريخ منطقة الهوقار، مجلة الأصالة، العدد72، ملتقى 13 للفكر الإسلامي بتمنراست، الجزائر،1971، ص 51.

[3]- عبد القادر عزام عوادي، بسكرة من خلال مذكرات الرحالة الفرنسي هنري دوفيرييه، الملتقى الوطني الثالث عشر، بسكرة بعيون الرحالة الغربين، مديرية الثقافة لولاية بسكرة، 2015، ص 162.

بتأسيس لجنة الاكتشاف العلمي من قبل السلطة الفرنسية عام 1837، حيث شكل القرار الوزاري رسميا عام 1839 هيكلة هذه اللجنة بإحدى وعشرين عضوا من مختلف التخصصات العلمية (أثار، جغرافيا، تاريخ، طب، فلاحة...الخ) وقد نتج عن أعمال هذه اللجنة العلمية طبع ونشر العديد من المؤلفات والمجلات والنشريات شملت مختلف النواحي المتعلقة بالجزائر والجزائريين. وكانت الرحلة العلمية الاستكشافية من الوسائل المهمة التي قدمت مادة خبرية قيمة.[1]

ومع كل هذه الانجازات العلمية التي كانت تعدها السلطة الاستعمارية في الجزائر كانت مقاومة الجزائريين للمستعمر على أشدها في مناطق الشمال.وهذه الثورات تحولت تدريجيا من الشمال إلى الجنوب وأصبح الجنوب الجزائري والصحراء الجزائرية حصنا منيعا للثوار. ولذلك عزم الفرنسيون على التوسع في أعماقها.واشتد هذا الاهتمام أكثر في الربع الأخير من القرن التاسع عشر من أجل ربط مستعمراتهم ببعضها البعض في الشمال والغرب والوسط[2]. وتبين أن السياسة الفرنسية كانت على دراية كبيرة بأهمية الصحراء وقناعتها كانت كبيرة في أن بقاءها في الجزائر مرهون باحتلال الصحراء[3]. ويمكن تلخيص أسباب الاهتمام الكبير الذي أولاه الفرنسيون للصحراء في النقاط الآتية:

-رغبة فرنسا في التعرف على هذه المناطق المترامية الأطراف وإمكانيات الصحراء الاقتصادية والبشرية وأيضا دراسة المجموعات السكانية والتعرف على عاداتها وتقاليدها وتاريخها السياسي والحضاري وأوضاعها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

-توفير الأمن للمعمرين وللمناطق التي يتواجدون بها في الشمال لأن ثورات الشعب الجزائري في الشمال كانت سببا في تحول الصحراء الجزائرية إلى معاقل للثوار والمجاهدين الذين كانوا يفرون إليها للاستعداد لمواجهة العدو لذلك أرادت فرنسا التوسع في الصحراء[4]. وكان حادث مقتل الرجال الفرنسيين سنة1881 من طرف فرسان التوارق بداية حقيقية لجهود الفرنسيين في الاهتمام بمنطقة الهقار[5].

---

[1]-عميراوي أحميدة، قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث، د.ط، دار الهدى للطباعة النشر والتوزيع، عين مليلة، 2005، ص 49.

[2]- عبد القادر عزام عوادي، المرجع السابق، ص 163.

[3]- عميراوي أحميدة، المرجع السابق، ص 50.

[4]- عبد القادر بوباية، دور الرحالة والمستكشفين في حركة التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية، مجلة عصور، المجلد3، العدد1، 2004، ص 154.

[5]- مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع السابق، ص 53.

-لويس أوجين كافينياك:

في رحلته إلى الصحراء الجزائرية زار كافينياك (Eugéne cavaignac)[1]الهقار ووصف سكان الطوارق، حيث لاحظ أن التوارق لهم نفوذ كبير وقال عنهم أنهم محتلون للصحراء الجزائرية. ووضح أن هذه الأخيرة يشترك فيها شعبان البربر الذين يسكنون القصور والعرب في الخيام البدوية. وفي رأيه الطوارق هم السكان الأصليون، فهم مستقرين في مكان واحد ويمارسون الزراعة ويتحدثون لغة مختلفة تماما عن اللغة العربية بالرغم من اتصالهم الكبير بالعرب، إلا أن الشعبان مرتبطان بتعاطف شديد ويسود التوافق بينهما.وتحدث عن ديانة الطوارق، فقال بأن لديهم عبادة مختلطة بين الإسلام [2]والفتيشية[3]

ويقرؤنا القرآن ويحفظونه. ويقول أيضا أن العرب يحتاجون إلى الطوارق في صناعة الملابس الفاخرة والحدادة وصناعة الأسلحة والسروج.كما وصف خطورة الطوارق على السلطة الفرنسية أين قال: "**إنه لابد أن نحكم قبضتنا على البدو الرحل الذين قد يبدون من الوهلة الأولى أنهم قادرون على الإفلات من سيطرتنا وتفصلنا عنهم تلك الربوع الشاسعة والتي تصعب على جيوشنا عبورها، كما أنهم ينتقلون في الصحراء بسرعة تفوق سرعة تحركنا**"[4].

---

[1]– لويس لوجين كافينياك: سياسي عسكري ولد في باريس 1802 تخرج برتبة نقيب من المدرسة الحربية للمدفعية نزل إلى الجزائر بعد نجاح الحملة الفرنسية فأسندت له مهمة احتلال تلمسان 1836.ينظر إلى بن سفي عز الدين، تاريخ منطقة أولاد ميمون من خلال بعض المصادر الفرنسية أنموذجا،مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، المجلد9، العدد28، جامعة تلمسان، الجزائر، 2016، ص 64.

[2]–جمال حريشة وعلي طاليبي، الصحراء الجزائرية في كتابات البعثات الفرنسية بعثة لويس اوجين كافينياك1847–1848 أنموذجا ، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية ، المجلد9 ، العدد 2 ،جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، 2023، ص 17–18.

[3]– الفتيشة: تعتبر أقدم الأديان وهي عبارة عن الاعتقاد بأن لكل مادة روحا وتحل فيها وأن الاستحواذ على الروح يمكن للإنسان بالانتفاع بها وهو اعتقاد معتمد على بدائية سحرية أي أن قوة الكون والعالم تجتمع في شئ محدد ذاته بذاته ينظر إلى: كرار صباح عبد الرسول، مراحل التفكير البشري،2020، منشور في الموقع التالي2024/05/26

Document /https//www.scribd.com.

[4]–جمال حريشة وعلي طاليبي، المرجع السابق، ص 19.

- فرانسو فيليكس جاكوت:

يقول الدكتور فيليكس(Jacquot félix)[1] أن الطوارق ينتمون إلى الجنس البربري ويتميزون بعادات وتقاليد مختلفة تماما،فهم ليسوا قبيلة بل يشكلون أمة كبيرة ويقطنون في شمال وشرق الصحراء وبمجرد حلول الربيع يتنقلون[2].

-هنري دوفيريه (Henri duverier):

في سنة 1857 نزل دوفيريه[3] في الجزائر أين زار الهضاب العليا والأغواط والجانب الصحراوي وسُحر بجمال الصحراء الرهيبة وهذا ما جعله يستقر في الأغواط التي قال عنها أن لها طابعا من الجمال الخلاب. وتعرف فيها بالصدفة بأحد رجال الطوارق، فوجهوا له دعوة لزيارتهم، وعندما عاد إلى بلده بعد هذه الرحلة الاستطلاعية نشر دراسة عن القبائل البربرية التي من ضمنها ترجمة لمفردات من اللغة البربرية. قام بإعداد رحلته الاستكشافية التي كانت ذات طابع علمي حيث اطلع على العديد من الكتب واستشار المتخصصين الأوروبيين في شؤون الصحراء.[4]

وتعلم طرق وأدوات تحديد المواقع وقد زار عددا من المتاحف كما طلب من المستشرقين مده بمعلومات عن الإثنولوجيا والسلالات الصحراوية، وبعد سنة من التحضير والاستعداد نزل مرة أخرى بالجزائر وذلك في 1859 وفي رحلته إلى الطوارق قام بأبحاث مستفيضة في كل مكان مر به عن السكان، فاتجه إلى طوارق الشمال الذين يسكنون جبال تاسيلي (اجار) وللوصول إلى هناك سلك طريق غدامس سنة 1860 وأثناء تنقله وجد دوفيريه مساعدة كبيرة من شخصيتين من الطوارق وكان ينوي أن يتخذ من "غات" المرحلة التالية

---

[1]- فرانسو فيليكس جاكوت: ولد بفرنسا 6 يناير 1819 درس الطب العسكري خدم في الجيش الاسباني في ظل الامبراطرية الأولى انتقل إلى الجزائر سنة 1845 بعد أن غراه هذا البلد ينظر الى :

Jacquot félix. Expédition du général cavaignac dans le sahara algerien, en avril et mai 1847 gide et baudry paris libraires editeur p 404.

[2]- أحسن دواس، صورة المجتمع الصحراوي الجزائري في القرن التاسع عشر من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين مقاربة سوسيو ثقافية، مذكرة لنيل درجة الماجستير في الأدب المقارن، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة منتوري قسنطينة،2008، ص55.

[3]-هنري دوفيرييه:ولد في باريس في 27 فبراير1840 يعتبر دوفيريه رحالة وعالم جغرافيا ومن الأسماء الكبيرة التي لها وزن عظيم في تاريخ الاستكشافات التي شادتها الصحراء الجزائري ومن بين مؤلفاته توارق الشمال ومذكرات رحلة في إقليم الجزائر. ينظر إلى: عبد القادر عزام عوادي، المرجع السابق، ص، ص167 ،169.

[4]- إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 83-86.

ولكنه تراجع عن قراره وذلك بسبب الحالة المضطربة في تلك المدينة وسلك طريق آخر وعاد أدراجه إلى غدامس حيث وجد في انتظاره رسالة من بعض كبار المسؤولين الفرنسيين يخبره فيها أن الإمبراطور نابليون الثالث منهمك في إعداد كتاب عن الصحراء في عهد الرومان ويحثه على أن يعمل على توفير الوثائق للإمبراطور عن الصحراء في ذلك الوقت[1].

وعلى الرغم من ظروفه الصحية والمالية راح يعمل بجد واجتهاد.وفي هذه الأثناء وصلته منحة حكومية لسنة 1861 مقدارها 2000 فرنك استعان بها لمختلف أغراض الرحلة. بعد ذلك قام دوفيريه بالرحلة من غدامس إلى غات رفقة الطوارقيين ووصل إليها بعد مشقة وعناء. وكانت هذه المدينة مستقلة ولكنها تقع تحت حماية الطوارق وقد سجل دوفيريه عدد سكان "غات" في ذلك الوقت يبلغ 4000 نسمة وأنهم مزيج بين البربر والعرب والسود. وفي البداية كان الطوراق متخوفين منه، فرفضوا أن يقدموا له بعض الخدمات كالماء أو أن يبيعوه أي شيء كونه أوروبي مسيحي، لكنهم تخوفوا في المقابل أن تقوم فرنسا بتحويل الطرق التجارية لفائدة الاستعمار[2].

الشكل06: يوضح صورة للرجل التارقي.

المصدر : Gros julels, op. cit,p302

وبعد مدة من إقامته بين الطوارق وجد حسن الاستقبال، فاندمج فيهم حيث اعتبروه واحدا منهم فكان يحضر الاجتماعات التي يتناقشون فيها في أمور القبيلة، كما تعلم لغة تماشق وحروفها الهجائية (التيفناغ) التي لم

[1]– إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص84.

[2]– المرجع نفسه ، ص86.

يكن يعرفها سوى عدد صغير من الطوارق أنفسهم وفي تنقله وترحاله كان يرافق القبيلة ويدون ملاحظاته.[1]لقد كان "دوفيريه" دقيقا في وصفه للمجتمع التارقي ولم يترك مجال لم يتحدث فيه وبالأخص المجال الاجتماعي، فغاص عميقا في عدد من الأمور الاجتماعية لدى هذا المجتمع وتحدث عن احتفالاتهم وحتى طريقة أكلهم وكذلك في إطار ملاحظاته عن المرأة فهم دوفيريه المكانة المرموقة التي تحظى بها لدى مجتمع الطوارق ودور الأم في منح الزعامة لابنها وذكر مكانة الخط الأمامي.[2]

وهذا ما مكنه من فهم النظام السياسي عند الطوارق بسرعة وعدد من التفاصيل وصلت إلى غاية الهندام. وعرف دوفيريه كذلك كامل مكونات المجتمع التارقي من حيث القبائل وأعطى خططا ومعطيات كاملة عن القبائل ضمن كل كونفدرالية بتسمياتها ومميزاتها وطبيعة نشاطاتها. كما تناول مسألة الطبقية وتناول المبررات التي يتخذها كل طرف من أجل تبرير موضعه الذي هو عليه ضمن هذا النظام الاجتماعي وذكر منها الإثني المتعلق بالوراثة والعقدي المتعلق بالدين[3].

واعتبر أن الطوارق حافظوا على لغتهم على عكس الشعوب البربرية التي كانت تعيش في ساحل البحر الأبيض المتوسط التي فقدت حتى ذكرى وجودها السابق. فعندما دخل العرب المسلمون بلاد المغرب تحول البربر إلى مسلمين بالقوة حسب زعمه واستبدلوا لغتهم باللغة العربية ودمروا الترجمات البربرية وحلت اللغة العربية في كل مكان كلغة مكتوبة محل جميع اللغات التي كانت سابقا في شمال إفريقيا،[4]

إلا أن الطوارق بقوا محافظين على لغتهم. كما وصف الطوارق على أنهم قبائل مسلمة تمتنع عن أكل لحم الخنزير وتركوا التقاليد الوثنية القديمة وأصبحوا يأكلون كل ما حلله الشرع وأيضا قال بأن هؤلاء رعاة مسلمين يسكنون الصحراء حياتهم تتشابه كثيرا مع حياة العرب الرحل في نفس المنطقة ووصف الأكواخ التي يسكنون فيها[5]

---

[1]– إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 86.

[2]– كديدة محمد مبارك، مجالات اهتمام الكتاب الغربيين بمناطق أقسى الجنوب الجزائري (هينري دوفريي أنموذجا)، مجلة آفاق علمية، المجلد8، العدد11، المركز الجامعي تمنغاست، 2016، ص 69.

[3]– المرجع نفسه، ص 69.

[4]–Henri duverier، les touargs du Nord Exploration du sahara challamel Aine libraire editeur paris ,1864, pp387.

[5]–Ibid, pp 387،402.

2-المجتمع العربي من خلال الكتابات الفرنسية:

أ-دوافع اهتمام الاستعمار الفرنسي بالمجتمع العربي (أولاد نايل):

عرفت فرنسا أهمية تمركز قبائل أولاد نايل في منطقة الهضاب الوسطى لأنها أكثر قبائل هذه المناطق عددا وانتشارا،فهي تسيطر على كل مسالك الهضاب الوسطى بما فيها الحضنة ومشارف الصحراء الوسطى وهي كثيرة العدد حيث قدرت عام 1841 مابين 80 إلى 100 ألف نسمة يتوزعون على أكثر من 20 ألف خيمة. وتتميز منطقة أولاد نايل بثروة حيوانية هائلة هذا ما جعل فرنسا تقوم بإرسال بعثات علمية لدراستها والتعمق في خصائص ومميزات هذه القبائل من أجل إعداد مشروع توسعي على هذه المنطقة أو ضمان ولائهم بتعين باشاغات على رأس كل قبيلة للسيطرة على مستوى الهضاب الوسطى للتفرغ إلى المناطق الأخرى[1].

وكون قبيلة أولاد نايل ذات نزعة حربية من خلال خوضها لمقاومات وطنية من بينها مقاومة الحاج موسى الدرقاوي خلال الفترة الممتدة من 1830-1849؛ قاد هذا الأخير جيشا متجها إلى العاصمة لطرد المحتل.وكذلك دعمه لجل المقاومات الشعبية التي ظهرت طيلة القرن التاسع عشر بداية من ثورة الأمير عبد القادر إذ طلب مساعدتهم للجهاد سنة 1835 كونهم يمتلكون مئات الجياد والذي أثنى ثناءً كبيرا على فرسان هذه المنطقة وشجاعتهم مرورا بثورة الزعاطشة وأولاد سيدي الشيخ وغيرهم،[2]

إضافة إلى الانتفاضات المحلية مثل ما قام به بوشندوقة وأولاد أم لخلوة وأولاد طبعة وأهل النواحي الغربية، إضافة إلى ما قام به أولاد سيدي يونس والعبازيز من دعم كبير لثورة أولاد سيدي الشيخ وكذلك دعم أولاد نايل لثورة المقراني سنة1871، ولأن سكان هذه المنطقة لم يكونوا يكنون لفرنسا أي ود وجابهوها منذ 1830، فإن كل هذا جعلها تدرك أنه لا يمكن تطويع هؤلاء إلا باستخدام العلم كسلاح يمكنها من السيطرة على هذه المنطقة فسعت إلى دراسة منظومة تركيبة هذا المجتمع[3].

---

[1]- برابح محمد الشيخ، نماذج من مقاومات أولاد نايل للتوسع الفرنسي في الهضاب الوسطى (1849-1854م) ، مجلة قضايا تاريخية، المجلد03، العدد 09، جامعة زيان عاشور الجلفة، 2018، ص 149.

[2]-مصطفى داودي، الكتابات الفرنسية حول منطقة الجلفة بين الظاهر العلمي والباطن الإحتلالي، مجلة أنسمة للبحوث والدراسات،المجلد5، العدد 10، قسم العلوم الإنسانية جامعة الجلفة، 2014، ص 123.

[3]- المرجع نفسه، ص 123.

ب-صورة مجتمع أولاد نايل من خلال الرحالة الفرنسي أوجين فرومنتان وكتابه "صيف في الصحراء"

إن كتاب صيف في الصحراء لأوجين فرومنتان[1]هو عبارة عن تقارير يومية لما شاهده وعايشه سنة 1853 خلال سفريته إلى الصحراء الجزائرية.ويحتوي الكتاب على 418 صفحة موزعة في شكل عناوين مؤرخة باليوم وجمع فيها العديد من المعلومات المؤرخة باليوم وكذلك العديد من الإفادات المتعلقة بالمظاهر الطبيعية ونقل الحياة الاجتماعية للسكان في الصحراء وخصص بعض من الصفحات لوصف مجتمع أولاد نايل[2]. ففي الجزء المعنون بـ" من المدية إلى الأغواط" تحدث "فرومنتان"(Fromentin)عن رحلته إلى الأغواط، فوصف كل ما رآه في طريقه من وديان وغابات وحقول، فعند وصوله للخيمتين العربيتين اللتين نصبتا لاستقبالهما، فقال أنهما بمثابة الملجأ ومأوى لنا،وتحدث عن ضيافتهم من طرف قائد الخيمة في صفحات عديدة من الكتاب وهو ما يمكن أن نقف عليه في العبارة التالية:

" ... إنها الثامنة، لقد عدنا للتو إلى خيامنا بعد تناولنا الضيافة على العشاء مع رئيسنا سي الجيلالي. لقد جاء خصيصا لاستقبالنا من القبيلة التي يعيش فيها التي تبعد ببضعة فراسخ من هنا .... إن الضيافة هي وجبة ضيافة تعتبر من آداب السلوك عند العرب وإن إعطاء الطعام في العادات العربية عمل جيد....إن الضيف مسموح له بالتمتع بأكبر قدر من الرفاهية وينام بمعدة ممتلئة ...[3]"

ونستنتج من خلال هذه العبارات أن فرومنتان أعجب بكرم وحسن ضيافة العرب واعتبر هذا التصرف من عادات المجتمع العربي، فإكرام الضيف وإغاثة الملهوف ومساعدة المحتاج من خصال العرب إذ اعتبرها

---

[1]- أوجين فرومنتان (1820-1876): ولد أوجين صامويل فرومنتان بفرنسا سنة 1820 من عائلة بورجوازية تعتني بالثقافة والده طبيبا هوايته الرسم فمحيطه هذا له أثر كبير على مسيرته العلمية، درس أوجين بكوليج روايال بمسقط رأسه ،ثم اتجه سنة 1839إلى باريس لمواصلة دراسته في الحقوق ليتحصل على شهادة الليسانس في الحقوق سنة 1843 كان أوجين مولعا بالرسم والفن إلى درجة أنه اختار الفن وتخلى عن دراسة الحقوق ، عشق فرومنتان حياة التنقل والترحال هذا ما جعله يؤلف كتابين يصف فيه رحالاته الطويلة التي قام بها إلى الجزائر الأول كان بعنوان صيف في الصحراء والثاني كان بعنوان سنة في الساحل، توفي أوجين سنة 1876 تاركا لوحات ورسومات إبداعية نثرية في قمة الروعة . ينظر إلى: درعي فاطمة، الأغواط من خلال رحلة الرسام الفرنسي أوجين فرومنتان، مجلة العلوم الإنسانية والحضارة، المجلد 05، العدد01، جامعة مصطفى إسطنبولي معسكر، الجزائر ،2023، ص 24.

[2]- بكاري عبد القادر، الصورة النمطية لقبائل أولاد نايل من خلال الكتابات الفرنسية في القرن 19م، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، المجلد09،العدد03، مختبر الدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر، 2020، ص 206-207.

[3]-Formentin Eugenne،Un été au sahara, libraire plon les petits-fils de plon, paris1877, pp 25,33.

درس عظيم في حسن الخلق والكرم.ويشير فرومنتان أنه بوصوله إلى دوار صغير من دواوير أولاد نايل لم يكن لدى الدوار أكثر من خمس عشرة إلى عشرين خيمة ووجد فيه قطعان كبيرة من الماشية، فعادة هؤلاء البحث عن المراعي لتنتقل بالماشية صوبها لأن الصحراء جوها حار جدا تقل فيها الأماكن الصالحة للرعي. ثم ينتقل إلى وصف أطباق الوليمة وطريقة أكلهم بدقة وبعدها وصف خيمة أولاد نايل التي تعرف بالخيمة الحمراء أو البيت الأحمر التي تصنع من الصوف والشعر.ووصف هذه الخيمة بكل تفاصيلها ومكوناتها وأيضا رجالهم وألبستهم[1].

وفي كتابه الثاني "سنة في الساحل"، اعتبر العرب أنهم لا يصلحون للاندماج مع فرنسا كونهم بعيدين كل البعد عن التحضر والرقي. وقد وصف أيضا العرب بأنهم أناس لا عهد لهم بالموسيقى ولا يتذوقون أنغامها ويتصرفون وفقا لأهوائهم يفعلون كل ماقام به آباؤهم ولا يسعون إلى التغير. ويمتلكون الأرض دون عملية المسح التي تقوم بها فرنسا ويبنون دون مراعاة تخطيطنا لشوارعهم ويسافرون دون توقف وينشؤون دون تقييدهم في سجلات الميلاد. ووصفهم أيضا بأن عقولهم صغيرة مثل الأطفال وغيرها من الصفات التي تقلل من قيمة العربي. وفي كتابه تطرق إلى موضوع المرأة العربية وصف لباسها فقال بأن النساء العربيات متحجبات يلبسن الحلي ويتصفن بالجمال، ورأى بأن النساء العربيات لا يخرجن إلا نادرا وكأنهن محبوسات.[2]

ونفسر قوله بأن الإسلام سلب المرأة العربية حريتها وهذا ما يظهر جهله بعادات وتقاليد المجتمع الجزائري. والمرأة العربية في نظرهم أمية وضحية تخلف وهي لعبة الرجل الذي يشتريها بنقوده كما يشتري البهائم والبضائع. وأنها عبارة عن خادمة تقوم بكل أعمال البيت وتربي الأطفال مع ذلك ليس لديها حقوق. ويضيف فرومنتان أيضا أن المقبرة عند العرب فضاء للمتعة خاصة لدى النساء المتزوجات اللواتي يجدن في زيارتها فرصة للخروج والتجمع قصد إظهار مفاتنهن هروبا من صرامة البيوت المغلقة[3].

---

[1]– رفاف شهرزاد وسياب خيرة، صورة مجتمع أولاد نائل في القرن التاسع عشر ميلادي من خلال رحلة صيف في الصحراء للرحالة أوجين فرونتان، مركز جيل البحث العلمي، العدد67، جامعة طاهري محمد بشار، الجزائر، 2020، ص 150–149.

[2]– على برغيث، صورة الجزائر عند الرسام والكاتب الفرنسي أوجين فرومنتان في كتابه سنة في السهل، مجلة التراث، المجلد04، العدد04، 2014، ص 114–115.

[3]– المرجع نفسه، ص 115.

ويرى أيضا أن اللغة العربية عسيرة الفهم والتواصل، تكاد محصورة فقط عند العربي،وحاول فرومنتان التأكيد على أن الشعب الجزائري لا يملك لغة موحدة وأنه عبارة عن خليط من الأجناس لا عهد لهم بهذه الأرض المهجورة ويحق لمن يعمرها أن يمتلكها[1].

ج-العرب حسب منظور إيجان دوماس والنقيب فابار:

لقد تحدث دوماس[2] والنقيب فابار عن المجتمع القبائلي وقارنوه بالمجتمع العربي في كتاب "القبائل الكبرى". وتميز وصفهم للعرب بالدقة العالية، حيث تطرقا إلى مظهرهم الخارجي، لون الشعر، العيون، شكل الوجه ولباسهم ووصفوا سلوكياتهم.والعربي حسب قولهم يؤمن بالخرافات ويتستر بالطلاسم ويعلقها في أعناق حيواناته لحمايتها من سوء الأحوال الجوية،المرض، الموت وما إلى ذلك.ورأوا بأن الرجل العربي لا يحب العمل، فهو كسول طوال السنة يهتم فقط بملذاته، لا يتقن الصناعة وكل ما يعرفه سوى صناعة السروج والأحزمة. وأن العربي مغرور ومتكبر، في الحرب لا يتقدمون إلى الواجهة ويقصدان هنا أن المحاربين العرب جبناء، وذكروا أيضا أن العرب يمتازون بالغدر والخيانة ويرى كل منهما أنهم يقدمون الضيافة من أجل كسب مصلحة ما أو للتباهي[3].

وما يمكن ملاحظته أن هذين العسكريان شككا في نية تقديم العرب للضيافة وكتاباتهم هذه تحمل نوعا من الحقد اتجاه هذا المجتمع. في الواقع إن هذا ليس بالأمر الغريب، فالفرنسيين معروفين بتشويه كل ما يخص المسلمين وحضارتهم ومسألة الكرم والضيافة عند العرب معروفة لدى جميع الشعوب، فهم يكرمون الضيف غنيا كان أو فقيرا. والعربي مدين بالمأوى والطعام للمسافر والضيف، ولقد شَهَد بهذا الُكتّاب الفرنسيون بأنفسهم من بينهم فرومنتان الذي كتب مطولا عن كرم العرب وأعجب بهذه العادة العظيمة.وفي نفس السياق كتب "جورج روبرت" عن كرم العرب وتحدث عن الضيافة العربية وكيف كان استقبال زعيم القبيلة أو فرد من الأفراد لعابر السبيل.

---

[1]- على برغيث، المرجع السابق، ص 116.

[2]- إيجان دوماس: ولد دوماس سنة 1803 دخل الجيش كمتطوع عام 1822 تم تعينه ملازما ثانيا عام1827 خلاف وظائفه العسكرية كان كاتبا، قدم إلى الجزائر وقام بحملتي معسكر وتلمسان، انخرط بحماس في دراسة اللغة العربية قام بعدة رحالات لاكتشاف المجتمع الجزائري وألف العديد من الكتب عن المدن التي زارها ينظر إلى:

Narcisse Faucon, OP.Cit, P178.

[3]-M .Daumas،M. Fabar، La grande kabylie، études historique، imprimerie، CH Monginot، Alger 1847،pp203،6.

ووصفا العرب بأنهم لصوص وأنهم جهلة لا يعرفون حتى حساب أموالهم وتحدثوا أيضا عن احتفالات العرب بيوم الزفاف حيث يقومون بألعاب الفروسية قبل أخذ العروس. ولا يجوز عندهم أن تظهر المرأة في الاجتماعات مع الرجال، فالنساء العربيات يحتفظن دائما بحجابهن أو بالحايك فهي ليست حرة عكس المرأة القبائلية، في سياق حديثه عن المرأة العربية وصفها بالقذرة وقارنها بالمرأة القبائلية التي في نظرهما نظيفة وجميلة[1].

د-نساء أولاد نايل من خلال كتاب إيبرتين أوكلر-(Auclert Hubertine)"المرأة العربية في الجزائر":

تحدثت إيبرتين [2]عن المرأة العربية في كتابها حيث رأت بأن الفتيات في الجزائر لا ينلن حقوقهن في التعليم.وأن المرأة العربية لا تتمتع بحقوقها.وانتقلت في الحديث عن نساء أولاد نايل، فكانت ترى بأنهن يمارسن الدعارة من أجل جمع المال وعندما يبغلن سن التاسعة أو العاشرة من العمر تهاجر هذه الفتيات إلى المدن الساحلية ليمارسن مهنتهن ولبيع أنفسهم. كما وصفتهم بجمالهن الساحر وشبهتهم بالحور العين. وقالت بأن عندما انتهائهم من مهنتهم يجمعون الأموال ويعودون إلى قبيلتهم وهذا بطلب من أهلهم.[3]

---

[1]– M .Daumas،M. Fabar,OP.Cit, pp37,43.

[2]– إيبرتين أوكلر: ولدت سنة 1848بفرنسا، من عائلة ميسورة الحال كان أبوها فلاح غني وشيخ بلدية،في سنة 1851 ناضلت من أجل حقوق المرأة الفرنسية في الانتخابات كما نادت بالمساواة بين الرجل والمرأة وطالبت بمراجعة قوانين نابليون بونابرت، شاركت في الرابطة الفرنسية لحقوق النساء سنة 1881 أسست جريدة المدنية من أجل تحرير النساء، علمت كمحامية وكبرلمانية ومنتخبة انتقلت إلى الجزائريين سنة 1888–1892وعاشت في أحياء الجزائر ووقفت على أوضاع المرأة الجزائرية عادت إلى فرنسا لتواصل نضالها السياسي والاجتماعي توفيت سنة 1914 ينظر إلى: بكاري عبد القادر، المرجع السابق، ص 208.

[3]–Auclert Hubertine(1900)،Les Fammes arabes en Algérie، paris: société d'éditions littéraires, p112.

أنه من عادات أولاد نايل تقديم بناتهم لجلب الأموال لهم، حيث كانوا يعتقدون أن من خلال هذا التصرف سيكرمهم الله وأن نسائهم يقمن بعمل جيد. لذا كانوا يشجعونهم على هذا الأمر وأن ترك هذه العادة سيجلب لهم أعظم شر على القبيلة. وقالت بأن عندما حاول الأمير عبد القادر أن يوقف هؤلاء الفتيات من التنقل في ربوع الوطن لممارسة هذه العملية حدثت مجاعة بسبب غضب الله[1].

وحسب رأينا، فإن هذه الكاتبة كانت تدون بعض الأكاذيب والمعلومات التي كانت منتشرة في ذلك الوقت، لتشويه المرأة النايلية لأهداف واضحة وهي كونها أكبر قبيلة عربية. ولهذا أرادوا استهداف أساس المجتمع وهي المرأة. كما أن المجتمع الصحراوي يعتبر من المجتمعات المحافظة، فيستحيل أن يشجع الأهل بناتهم للقيام بهذه الأعمال.

[1]- Auclert Hubertine,OP.Cit, p112-116.

خلاصة الفصل الأول:

– عندما تجاوزت فرنسا مرحلة التردد وقررت الإحتفاظ بالجزائر عزمت على التوسع في كل أقطارها، فكان المبدأ الأول الذي سارت عليه كل حملاتها إكتشاف المجتمع الجزائري وتكوين صور أولية عن سكان كل قطر.كانت البداية بإحتلال سهل متيجة والأوراس ثم منطقة القبائل.

– شرعت فرنسا في معرفة بنية المجتمع الجزائري وفهم خصائصه، فشرعت في تكوين مدارس ومعاهد للقيام بهذه المهمة. وقد إنقسمت مرحلة إنجاز الأبحاث والدراسات إلى قسمين فالمرحلة الأولى تسمى بالمدرسة القديمة تولاها الضباط العسكريين بعد هذه المرحلة يأتي عهد جديد من الدراسات المتخصصة بزعامة الأساتذة الجامعيين وتسمى كذلك بعهد المتخصصين.

– عملت الإدارة الإستعمارية على تشجيع كل من له شغف في السفر والإستكشاف من ضباط عسكريين ورحالة وحتى أطباء، أين أنجز هؤلاء كتابات متنوعة وعديدة في مختلف المجالات حول أعراق الجزائر.

الفصل الثاني: السياسة الفرنسية لتقسيم المجتمع الجزائري

تمهيد

المبحث الأول: المملكة العربية 1860-1870

المبحث الثاني: التنصيرواستبدال القوانين العرفية محل التشريعات الإسلامية

المبحث الثالث: إستبدال اللهجة العامية "الدارجة" محل اللغة العربية

تمهيد

بعد أن تعرفت فرنسا على مميزات المجتمع الجزائري من جميع جوانبه الدينية والثقافية وحتى النفسية، بدأت في تكوين سياسة إستعمارية أو بالأحرى –مخططات إستعمارية ذات بعد عرقي – لضرب وحدة هذا المجتمع المتماسك دينيا ولغويا وعرقيا. لقد عملت على تنفيذ مختلف السياسات من أجل إحداث انقسام بين أبناء الشعب الواحد. إن هذه الوحدة القائمة على أساس دين واحد جعلت الإسلام المستهدف الأول من هذه السياسة ومعه اللغة العربية. وكان من ضمن المشاريع الفرنسية الهامة مشروع المملكة العربية، ففيما يتمثل؟ وماهي غاية فرنسا من تنصير المجتمع الجزائري وكذا إستبدال القوانين العرفية محل التشريعات الإسلامية؟

ولماذا قامت الإدارة الإستعمارية بالعمل على تشجيع اللهجات البربرية؟

المبحث الأول: المملكة العربية 1860-1870

ظهر مصطلح مملكة العرب في الستينات من القرن الماضي، ويقصد بها جعل الجزائر مملكة عربية، وتعين الأمير عبد القادر ملكا عليها.وهدفت فرنسا من هذا المشروع تفكيك نظام القبيلة السائد في الجزائر. وكان الإمبراطور نابليون الثالث [1]هو من أراد تطبيق هذا المشروع في الجزائر. وقد تطرق لهذه الفكرة سنة 1852 أثناء خطاب له ألقاه بمدينة بوردو، حيث صرح "**أننا في مدينة مارسيليا تقابلنا في الواجهة مملكة واحدة واسعة علينا ضمها إلى فرنسا.**"[2]

لقد كان نابليون الثالث يتابع أوضاع الجزائر عن كثب وذلك بعد تقلده منصب الرئاسة، فكانت تصله الأخبار عن طريق تقارير كبار المستوطنين من العرب وبعض ضباط المكاتب العربية. وكانت كل التقارير التي تصله تؤكد بخطرين يهددان الجزائر وهما مشكلة التعايش بين المسلمين والمعمرين الأوروبين على

---

[1]– نابليون الثالث: هو شارل لويس نابليون ولد بباريس في 20 أفريل 1808، تربى في سويسرا بعد سقوط النظام الإمبراطوري 1815، التحق بالمدرسة العسكرية بالسويسرا، حيث تخرج برتبة ضابط في سلاح المدفعية ، تم نفيه سنة 1836 إلى البرازيل ومنها إلى الولايات المتحدة، ومنها انتقل إلى بريطانيا، عاد إلى فرنسا سنة 1848 بعد سقوط النظام الملكي، أنتخب رئيس للجمهورية الفرنسية الثانية بعدها أعلن نفسه إمبراطورا ، من أعماله أطلق سراح الأمير عبد القادر، صاحب مشروع المملكة العربية، أعلن الحرب على بروسيا سنة 1870، بعدها نفي إلى بريطانيا ثم توفي 1873 ينظر إلى : نادية طرشون، سياسة نابليون الثالث العربية، مجلة دراسات وأبحاث، المجلد 8، العدد 26، جامعة يحي فارس، المدية، 2017، ص 335.

[2]– حسين الحاج مزهورة، ملخص المداخلة مشروع المملكة العربية لنابليون الثالث في الجزائر 1852-1870، جامعة مولود معمري تيزي وزو، ص 1.

أرض واحدة، والخطر الثاني هو الصراع القائم بين المدنيين والعسكريين[1]. لذلك قرر نابليون الثالث زيارة الجزائر سنة 1860 لأول مرة. وعقب هذه الزيارة بدأت تتضح له أفكار مشاريعه أكثر، وأتيحت له فرصة الإطلاع على الخلاف الذي كان بين العسكريين والمدنيين والوقوف على الظلم الذي كان يعيشه المجتمع الجزائري. تبعا لذلك، قرر إنهاء هذه المعاناة وذلك بترقية الجزائريين وإتباع سياسة التهدئة معهم، مؤكدا على ضرورة ضمان حقوق العرب[2].

وحاول إصلاح مشكلة الأهالي الذين يعانون من مصادرة الأراضي بطريقة تعسفية، فوجه رسالتين إلى الحاكم بيليسي[3] سنة 1861 حيث جاء في إحداهما: "**يجب إنتهاج سياسة مغايرة تماما لواقع الحال، فعوض سياسة تجميع الأهالي وحصر إقامتهم في مراكز يجب إستمالتهم بمنحهم الأراضي. كما يجب المحافظة على الممتلكات العمومية المؤجرة للعرب بدل بيعها، ويجب إستقطاب العرب إلى السهول الخصبة بدل طردهم إلى المناطق الصحراوية وحصر الإقليم المدني بدل توسيعه**"[4]. وقد أعاد نابليون الرسالة للتأكيد سنة 1863 وقال: "**هذه هي الطريق التي يجب أن نسلكها بكل جد. وأكرر وأعيد أن الجزائر ليست مستعمرة بأتم معنى الكلمة ولكنها مملكة عربية. إن الأهالي مثلهم مثل المستوطنون لهم الحق في أن أقوم بحمايتهم وإنني إمبراطور العرب كما أنني إمبراطور الفرنسيين**"[5].

تواصلت سياسة نابليون في الجزائر، فأعاد الزيارة مرة ثانية سنة 1865 أين زار خلالها عدة مناطق في الجزائر. وكان سبب زيارته للجزائر إحساسه بأن مشاريعه تواجه عراقيل وصعوبات. وآثارت رسالته التي

---

[1]– أحمد سيساوي، البعد البايلكي في المشاريع السياسية الاستعمارية الفرنسية من فالي إلى نابليون الثالث 1838–1871، مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة 02، 2014، ص 264–265.

[2]– بوضرساية بوعزة، سياسة نابليون الثالث نحو الجزائر 1848 – 1870، مجلة تاريخ المغرب العربي، المجلد 05، العدد05، جامعة الجزائر "2" أبو القاسم سعد الله، 2019، ص 90–91.

[3]– المريشال بيليسي: ولد بفرنسا سنة 1794، تولى حكم الجزائر في 24 نوفمبر 1860 لم يكن على توافق كبير مع سياسة مسؤوله الأعلى نابليون الثالث، وكان مؤيدا لأطروحات المدنيين الين كانوا أشد خطر على الجزائر من نظراتهم العسكريين. ينظر إلى: مصطفى عبيد، دراسة في رسالة الإمبراطور نابليون الثالث إلى الماريشال بيليسي بتاريخ 06 فيفري 1863، مجلة المصادر، المجلد 14، العدد 1، قسم التاريخ، جامعة مسيلة، ص257.

[4]– أحمد سيساوي، المرجع السابق، ص 266–267.

[5]– زهير إحدادن، شخصيات ومواقف تاريخية، د.ط، الأكاديمية الجزائرية للوثائق والمصادر التاريخية، الجزائر، 2012، ص 122.

أرسلها إلى "مكماهون" مخاوف المستوطنين خاصة وأنها جاءت في شكل كتيب جاء فيها أنه لابد أن يستفيد الجزائرين من بلادهم و أن الإختلاف في الدين والعادات ليس عائق للإندماج كما كرر "**عبارة مملكة عربية ومستعمرة أوروبية ومعسكر فرنسي**". وتتلخص الرسالة التي أرسلها إلى الحاكم العام "مكماهون" في مجموعة من النقاط كما يلي:

-كسب العرب إلى طرف فرنسا والعمل على تجريد العائلات ذات النفوذ وتفليسها وتفكيك نظام القبيلة

-الإعتراف بطرد العرب من أراضيهم إستنادا إلى وثائق صادرة من أملاك الدولة

-المساس بالنظام القضائي الإسلامي

ووصف في هذه الرسالة العرب بالشجاعة والذكاء، وصرح أنه يرفض أن يبيد ثلاثة ملايين من العرب كما فعل الأوروبيون مع الهنود في أمريكا. وطلب من "مكماهون" بأن تتبع حكومته سياسة لينة سلمية يسود فيها التعايش مع العرب والعمل على استقطابهم للقوانيين الفرنسية[1].وكان من نتائج زيارته الثانية للجزائر إصدار قانون" سيناتوس كونسولت" أو القانون المشيخي سنة 1865 الذي نص أن الجزائريين رعايا فرنسيون، لكنهم يخضعون للشرع الإسلامي. وطلب نابليون من المعمرين أن يحسنوا معاملة العرب، وأكد على ضرورة اعتبار المسلمين مواطنين فرنسيين مع احتفاظهم بنظامهم الإجتماعي الديني واذا طلب أحدهم الجنسية الفرنسية فسيحصل عليها، وأقر بإعادة تشكيل المحاكم الإسلامية وتوسيع التعليم العام وفتح مدارس عليا إسلامية وزيادة عدد الكتائب الأهلية[2].

وعلى الرغم من عزيمة نابليون وطرحه لعدة قرارات، إلا أنه لم ينجح في تطبيقها، فتجسيد مشروع المملكة العربية وتأسيس كيان جزائري فشل تماما ويرجع سبب هذا الفشل إلى عدم تعاون الحكام العامين في ذلك الوقت وهما "بيليسي" و"مكماهون" اللذين لايشجعان سياسة نابليون الثالث في الجزائر.[3]

ومتواطئين في ذلك مع المستوطنين. وهناك من المؤرخين من يلوم الأخيرين. في هذا الصدد أورد الجنرال هانوتو قائلا: "**كل مايحلم به المستوطنون هو إقامة بورجوازية إقطاعية، يحميها الجيش، يكونون فيها**

[1]- بوضرساية بوعزة، المرجع السابق، ص 93.

[2]- قشاشني علي، المرجع السابق، ص 19.

[3]- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، د.ط، دار الرائد، الجزائر، 2009، ص 25.

السادة، أما الجزائريون فهم عبارة عن عبيد"[1]. وهناك من المؤرخين من أرجع سبب فشل المملكة العربية إلى نابليون الثالث، لأنه اتبع سياسة غير واضحة واعتماده على موظفين ليسو محل ثقة لتطبيق برنامجه في الجزائر. وفي المجمل، فإن السياسة التي انتهجها نابليون، واجهت معارضة شديدة خاصة من المستوطنين، وأصبح الجدل يدور حول خطر إنشاء مجتمع عربي، لذلك توالت ردود الأفعال التي جاءت كالآتي:

أ- ردود فعل الجزائريين:

رغم أن مشروع المملكة العربية تبدو قرارته لصالح الشعب الجزائري، إلا أنه لم يبد أي قبول، بل حاول رفضه بكل الوسائل.وعبر عن هذا الرفض باحتجاجات ضد مس المحاكم الإسلامية، وأعرب عن غضبها اتجاه هذا المشروع الذي يهدف فيه نابليون الثالث إلى تفكيك القبلية. وكانت ردود فعل بعض المناطق عبارة عن ثورات كثورة الظهرة 1860، وتعممت الثورة لتشمل منطقة القبائل الكبرى وأولاد سيدي الشيخ في 1864 التي من أسبابها تقسيم القبائل إداريا[2].

ب- رد فعل الفرنسيين:

تعتبر معارضة الفرنسيين من أكثر الردود الرافضة لسياسة نابليون، حيث استغربوا من أفكار نابليون الثالث ونظموا وقفات احتجاجية ضد ماسموه "إمبراطور العرب"، حاملين شعارات يرددون فيها"**هل تريدون أن نكون فرنسيون أم عرب**"[3]. واتخذت الصحافة نفس الموقف المعارض لسياسة نابليون، فرفعت اعتراضها إلى البرلمان أين إتهمت سياسة نابليون بأنها تشجع القومية العربية وأنها ظلمت شعب القبائل[4]. ومن المواقف المعارضة لهذا الأخير نجد أيضا أن الدكتور وارينه جمع أصدقائه وأنصاره ضد نابليون وشن حملة واسعة ضد فكرة المملكة العربية وشكك في قدرة الأمير عيد القادر في حكم الجزائر.[5]

---

[1]-أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، المرجع السابق، ص 25.

[2]-بوضرساية بوعزة، المرجع السابق، ص 95.

[3]- المرجع نفسه، ص 95-96.

[4]-قشاشني علي، المرجع السابق، ص 20.

[5]- بوضرساية بوعزة، المرجع السابق، ص 96.

المبحث الثاني: التنصير واستبدال القوانين العرفية محل التشريعات الإسلامية

أولا التنصير:

عَرَفَ القرن 11م بتصادم الغرب المسيحي ضد الشرق الإسلامي فيما يعرف بالحروب الصليبية، واستمر هذا الصراع لمدة قرنين من الزمن، وانتهت هذه الحروب باعتزاز كل طرف بمعتقداته وعاد الغرب الروماني إلى الشرق الإسلامي في مطلع القرن التاسع، لكن هذه المرة من أجل السيطرة ونشر المسيحية وتحويل المسلمين إلى مسحيين والقضاء على الدين الإسلامي.[1] في الواقع، أنه عند احتلال فرنسا للجزائر سنة 1830 لم تكن تنوي نهب خيراتها فقط بل سعت إلى تحقيق أهداف دينية وثقافية[2]، فعملت على نشر المسيحية في أوساط المجتمع الجزائري والقضاء على الشخصية الجزائرية، ثم إذابتها في المجتمع الفرنسي[3].وعندما سقطت مدينة الجزائر على يد الاحتلال خاطب الجنرال "ديبرمون" قائد الحملة العسكرية الذي اصطحب معه ستة وعشرون قسيسا قائلا:"**إنكم عدتم معنا لفتح الباب للمسيحية في إفريقيا ولنأمل أن تضيء الحضارة التي انطفأت في هذه الربوع**"[4].

يعتبر الإسلام بالنسبة للجزائريين ركيزة أساسية والحصن المنيع الذي يحتمون بيه، وهو الروح الذي يجمع ويوحد الجزائريين ويعطي لهم القوة للصمود والمقاومة. لذلك حاولت فرنسا بشتى الطرق والوسائل القضاء عليه واستبداله بالدين المسيحي.[5]

وفي سبيل ذلك شجعت فرنسا الأعمال الإنسانية، كإطعام الجياع ومعالجة المرضى والتكفل باليتامى والمشردين، وكانت هذه المساعدات عبارة عن أساليب إغرائية لمحاولة تضليل هؤلاء. بهذا الخصوص،

---

[1]– قشاشي علي، التوجه المعادي للعروبة والإسلام في السياسة الفرنسية بالجزائر1871–1954، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة جلالي اليابس–سيدي بالعباس– ، 2021، ص 84 .

[2]– طويل حياة، التنصير في الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي1830–1962، مجلة القرطاس، المجلد 4، العدد05، جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر،2017، ص 314.

[3]– فاطمة حسين المفرجي، التنصير الفرنسي في الجزائر 1830–1862، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد23، العدد2، جامعة بابل كلية التربية للعلوم الإنسانية، 2016، ص 3.

[4]– عبد القادر خليفي، سياسة التنصير في الجزائر، مجلة المصادر، المجلد6، العدد1، جامعة وهران، 2004، ص 131–132.

[5]– طويل حياة، المرجع السابق، ص 314.

شهدت الجزائر في سنوات1866-1868 كوارث طبيعية عنيفة كالزلازل والجفاف وأصيب على إثرها الجزائريين بمجاعة هلك بسببها الكثير. وفي هذه الأوضاع استغل "الكاردينال لافيجري"(cardinal Lavigeri)[1]ما تمر به الجزائر[2]، وقام بإنشاء جمعية الآباء البيض لتنصير الجزائريين وكان مركزها الحراش[3]وكذلك أسس فرقة الأخوات البيض سنة 1869وقام بمساعدة المرضى وأنقذهم باسم الصليب الفرنسي، وجمع ما يقارب ألف وثمانمائة طفلا مريضا ومشردا ووزعهم على مختلف المراكز والملاجئ التي أنشأها في نقاط عديدة من البلاد (بوزريعة- الأبيار- بن عكنون- بوفاريك- إلخ) قصد تنصيرهم.[4]

ولأن ذلك يتطلب أموالا أرسل نداءاته إلى أساقفة فرنسا لجمع الإعانات، ثم وجه نداء لكل الصحف الكاثوليكية، أين وصف بها المجاعة وطلب مساعدة المسيحيين لصالح الملاجئ. وقد لبى الكثيرون هذا النداء وتكونت لجان بالمدن الفرنسية لجمع التبرعات واستمر هذا العمل ولقي تشجيع وشكر من طرف الجنرالات والحكام الفرنسيين، وجند فرقا دينية متكونة من رهبان وراهبات لمعالجة الأطفال المصابين بالأمراض المهلكة[5]. لقد ضم ملجأ ابن عكنون وحده حوالي 1753طفلا بين الثامنة والعاشرة من العمر وكان يخدمهم حوالي خمسين شخصا. لكن الأطفال كانوا يموتون بكثرة نتيجة الأوبئة المنتشرة.وفتح "لافيجري" بعض الورشات ليعلم البنات الخياطة والتدبير المنزلي، أما الأولاد فكانوا يعلمونهم الحرف، وقد أرسل منهم حوالي 300 إلى مرسيليا أيضا.

---

[1]- الكاردينال لافيجري: هو شارل مارسيل ألمان لافيجري ولد سنة1825 بفرنسا، عاش بين عائلة بورجوازية، كانت عائلته لا تهتم كثيرا بالجانب الديني على عكس لافيجري الذي كان منذ صغره له توجها دينيا، بسبب تكوينه من قبل فتاتين كانتا في خدمة والديه،جعلتاه يتلو الصلوات الأولى، ويتعرف على الإنجيل وأخلاقياته، دخل لافيجري بالمدرسة الأكليركية الصغرى للدراسات الأسقفية، بعدها توجه إلى باريس والتحق بالمدرسة الأكليركية سان نيكولا، هذا الجو أثر على نمو الروح الكهنوتية للافيجري، واصل دراسته الأكاديمية بمعهد الدراسات العليا قدم أطروحتين لنيل الدكتوراه، فالمواضيع التي درسها تخص الديانة المسيحية. ينظر إلى: طيطوش حدة، الكاردينال لافيجري وأبعاد مهمته التبشيرية 1867-1880، مجلة مدارات تاريخية، المجلد الأول، العدد الثالث، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2019،ص 521-522.

[2]- بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر1830-1989، ج1، د.ط، دار المعرفة، الجزائر، 2004، ص 153.

[3]- عميراوي أحميدة وزاوية سليم وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، د.ط، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص 109.

[4]- بشير بلاح، المرجع السابق، ص 153-154.

[5]- طويل حياة، المرجع السابق، ص 320.

كان مخطط "لافيجري" هو تنصيرهم وإبقائهم عنده أو تحت إشراف كنيسته، وإقامة قرى خاصة بهم تسمى (القرى العربية المسيحية) وهذه القرى تكون من صنعه وطلب أقارب هؤلاء الأيتام باسترجاعهم لكن "لافيجري" رفض لأنه كان مصرا على تنفيذ مشروعه[1].

لقد لعب هذا الأخير دورا كبيرا في إحياء النصرانية وتكريس الوجود الاستعماري الفرنسي مستغلا كل ما لديه من الوسائل لتحقيق أغراضه وأهدافه المرسومة[2]، لكن جهوده باءت بالفشل لتمسك الجزائريين بإسلامهم[3].

وقد حاول المُنصرون تركيز اهتمامهم على المناطق البربرية: منطقة جرجرة (القبائل)، منطقة الأوراس (الشاوية)، منطقة وادي مزاب بالصحراء الجزائرية ومنطقة الهقار (الطوارق) بالصحراء. لقد كان المبشرون يرون أن هذه المناطق المذكورة الأنسب لمشروعهم التنصيري لاعتقادهم أنهم سيحققون نجاحا ملموسا في عملهم التنصيري واستندوا في اختيارهم لسكان هذه المناطق إلى حجتين هما:

-الأصل واللغة:

أ-بالنسبة للأصل: لقد رأوا أن سكان جرجرة والأوراس وغيرهم يعتبرون السكان الأصليون للجزائر. وبالتالي ليسوا عربا وهذا من أهم العوامل التي ستسهل عليهم عملية فصلهم عن باقي سكان البلاد وتنصيرهم بسرعة.

ب-بالنسبة للغة: لاحظ المبشرون بأن تعامل هؤلاء السكان فيما بينهم لا يتم باللغة العربية وهذا أيضا يعتبر عاملا آخر تم استغلاله لإبعاد سكان منطقة القبائل والشاوية والطوارق وسكان بني مزاب عن اللغة العربية دون أي صعوبة[4].

1-التنصير في منطقة القبائل:

إن اهتمام المبشرين بالمناطق المذكورة لم يكن على قدم المساواة، حيث كانت منطقة القبائل أكثر اعتناءً عن غيرها من طرفهم.[5] لقد وجد المستعمر الفرنسي هذه المنطقة كمنفذ لنشر المسيحية فيها أكثر من غيرها من المناطق الجزائرية، فحسب اعتقادهم أن القبائل ديانتهم الأولى هي الديانة المسيحية بعدما كانوا وثنيين، على

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي1830-1954، المرجع السابق، ص 123-124.

[2]- فاطمة حسين المفرجي، المرجع السابق، ص 8.

[3]- بشير بلاح، المرجع السابق، ص 154.

[4]- محمد الطاهر وعلي، التعليم التبشيري في الجزائر من1830 إلى 1904دراسة تاريخية تحليلية، المؤسسة الوطنية للمنشورات المطبعية، الجزائر، 2009، ص 53-54.

[5]- المرجع نفسه، ص 58.

أنه بعد أن زحف المسلمين إليها تحولت إلى منطقة عربية إسلامية. وقد أوردت "كريمة سليماني" في كتابها "مسيحيو منطقة القبائل 1873-1954، **"أن الكاردينال "شارل دولا فيجري" وغيره من المبشرين كانوا مقتنعين بقدوم جذور المسيحية في الأوساط البربرية، فمنطقة القبائل اعتبروها لبنان الجزائر"**[1].

وبعد عشر سنوات من احتلال بلاد القبائل أي عام 1867 استدعي "الكاردينال لافيجري" ليتولى مسؤولياته الدينية في الجزائر، وكان يرى أن الوقت حان للقيام بغزو النفوس ونشر المسيحية في بلاد القبائل. لذا بدأ في إرسال الآباء البيض إلى هذه المنطقة وذلك بعد أن شكل طائفة من المبشرين[2].

إن مشروع هؤلاء المنصرون يتمثل في إنشاء مؤسسات خيرية في بعض المناطق من بلاد القبائل، وهذه المؤسسات يجد فيها الأهالي العناية الطبية، ثم اتسع نشاطهم ليشمل التعليم.ورغم عدم قبول الأهالي لما يقوم بيه هؤلاء، لكن سرعان ما اضطر سكان القبائل بقبول هذه المساعدات. وقد عرف هؤلاء المبشرون كيف يتقربون من سكان المنطقة خصوصا أن الكثير منهم تعلم لغتهم بسرعة، وكل هذا ساعدهم في التقرب والتغلغل في المنطقة والسيطرة على النفوس التي لم تكن تهتم إلا بالجوانب المادية. وفي بداية نشاطهم لم يسمح للآباء البيض بنشر المسيحية، فكانت بدايتهم بالأعمال الخيرية فقط، لكسب ثقتهم ثم تنصيرهم.[3]

وبدأ نشاط لافيجري في منطقة القبائل سنة 1872 عندما زار حصن نابليون (بعين الحمام)، أين ارتدى لباسه المسيحي والتف حوله أهل القرية وبدأ بإقناعهم بأن أصلهم روماني وأخبرهم بأنه رجل دين مثل أجدادهم السابقين وأن هناك ما يقارب خمسمائة راهب من منطقتهم[4]. لقد استغل لافيجري الأوضاع المزرية التي كانت تمر بها المنطقة وأرسل فرقة الآباء البيض من بينهم "الأب دوقيري" مع" الأب برودهوم" إلى قرية ثغمونت عزوز، حيث جهزوا خطة يسيرون بها بالمنطقة تتمثل فيما يلي:

-العمل على مباشرة التنصير الجماعي لأنه الأنجع والأنسب من التنصير الفردي.

-التظاهر بمظهر التدين من أجل استقطاب السكان إلى صفهم، ثم تنصيرهم.

---

[1]-ملكي شامة، التبشير في منطقة القبائل: وسائله وأهدافه وظروف ظهوره، مجلة الدراسات العقدية ومقارنة الأديان، المجلد5، العدد10، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2011، ص 448.

[2]- محمد سي يوسف، مقاومة منطقة القبائل للاستعمار الفرنسي ثورة "بوبغلة"، د.ط، دار الأمل للنشر، تيزي وزو، 2000، ص 192.

[3]- المرجع نفسه، ص 192-193.

[4]- قشاشني علي، المرجع السابق، ص 98.

-التحلي بالصبر وروح التسامح مع تقبل الشتم والسب.

-ممارسة الأعمال الخيرية لاستقطاب السكان من خلال الإحسان والتطبيب والتعليم.

-الاندماج وسط السكان عند تعلم لغتهم.

-عدم التعرض للدين المسيحي لأن ذلك يُنفر المسلمين، وبالتالي سوف يؤدي إلى فشل المشروع التنصيري[1].

وقام سنة 1876 بإطلاق مشروع مستشفى "سانت إليزابيث" بحضور شخصيات مدنية وعسكرية.وإلى جانب التطبيب، اعتمد المبشرون على التعليم وإنشاء المدارس من أجل تدريس الأطفال وتنصيرهم، وكذلك إعطاء الذين تم تنصيرهم أراضي فلاحيه عقب المجاعة.[2]

وما يمكن ملاحظته من كل هذا أن فرنسا حاولت بكل الطرق إنجاح مشروعها المتمثل في تنصير المجتمع الجزائري وجندت كل الطاقات واستغلت حاجة الأهالي للطعام وللتداوي. وقد نقل هؤلاء المبشرون بعض الأطفال اليتامى إلى فرنسا لتربيتهم في بيئة مسيحية، وهذا يعتبر إحدى أخطر المشاريع التي طبقتها فرنسا في الجزائر.

الشكل 07: يوضح صورة الأعمال الخيرية التي يقوم بها الآباء البيض.

المصدر: سعيدي مزيان، المرجع السابق، ص380.

[1]- قشاشني علي، المرجع السابق، ص 99.

[2]- المرجع نفسه، ص 99.

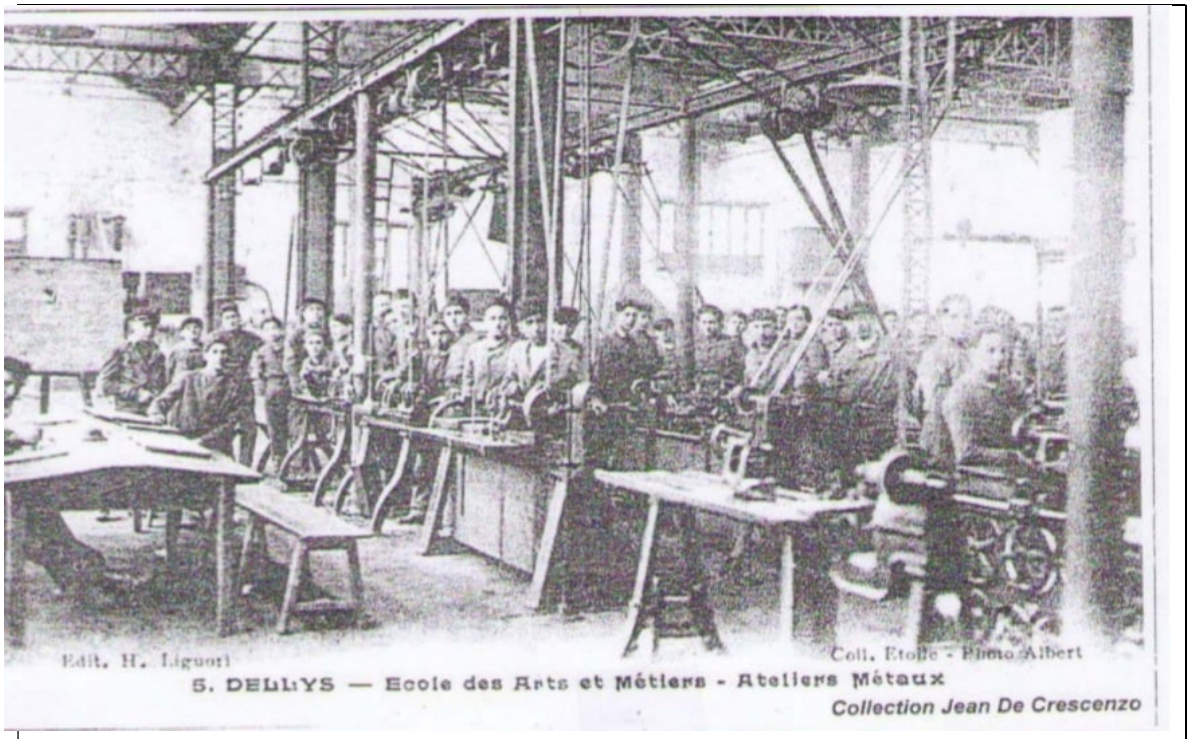

الشكل08: يوضح صورة مركز الآباء البيض ببني يني

المصدر: سعيدي مزيان، المرجع السابق، ص379

وبالإضافة إلى كل هذا قام "لافيجري" بتشييد العديد من المراكز التنصيرية في منطقة القبائل والتي قدمت خدمات كبيرة للنشاط التنصيري من بينها:

-مركز ثغمونت عزوز في بني عيسى الذي أُنشأ سنة 1873 وأشرف عليه أربعة منصرون.

-مركز توريرت عبد الله آيت واضو وأنشأ سنة 1873.

-مركز خراطة في بني إسماعيل وأُنشأ سنة 1874 وبه أربعة رجال دين.

-مركز وزران في بني منقلات سنة 1876 ويعمل به خمسة مبشرين[1].

[1]- قشاشني علي، المرجع السابق، ص 100.

الشكل09:يوضح صورة جماعة من المسيحيات بآيت واضو **المصدر**:خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص200	**الشكل10**: يوضح صورة مدرسة بقرية آيت واضو **المصدر**:خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص205

أ-النشاط التبشيري لليسوعيين (الأب كروازا):

تم إرسال الأب اليسوعي "كروزا" إلى منطقة القبائل سنة 1863، ككاهن بالكنيسة من أجل تنصير سكان المنطقة. وبدأ نشاطه بمدينة معسكر وأجرى اتصالاته بشيوخ الزوايا لإيصال الإنجيل إليهم[1]. وتعلم الأب كروازا اللهجة القبائلية وتعرف على المجتمع القبائلي. وفي بداية عمله كان يرى هذا الأخير أن عملية تنصير هؤلاء سهلة عكس العرب، بحكم أن ديانتهم قديما هي المسيحية، لذلك بدأ خطته بتقديم الإعانات كتقديم الملابس والسكر والقهوة، وكذلك الإرشادات الدينية والتكفل بالأيتام.وهذا ما جعل سكان المنطقة يعجبون لما يقدمه من مساعدات متنوعة في مختلف القرى. وانطلاقا من قرية بني يني إلى آيت جناد[2]، تردد على قبائل آيث فراح وآيت بودرار وآيت يني[3]. وبعد أن مهد عمله بتقديم الأعمال الخيرية، بدأ يُعَرف السكان بالديانة المسيحية، فكانوا يستمعون إليه باهتمام، لكن نتيجة إقباله على قرية بني فراح وإلقائه لدروس دينية

[1]- خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية في الجزائر1830-1871، د.ط، دحلب، الجزائر،1977، ص142.

[2]- المرجع نفسه، ص 142-143.

[3]- خديجة فلة بن جيلالي، "المسألة القبائلية" في المجال السياسي الجزائري من القرن19 إلى مطلع القرن21، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية فرع التنظيم السياسي والإداري، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر3، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، 2012، ص 180.

انزعج السكان منه، فقرروا وضع حد لهذا الأخير ووضعوا أوساخا على المقعد الذي كان يجلس عليه ليلقي دروسه المعتادة. وعندما جلس الأب كروازا اتسخت ثيابه وهذا ما جعل كل الحاضرين يضحكون بسخرية. وعلى الرغم من ردود فعل السكان الرافضة لمشروعه، فإنه لم يفشل، حيث واصل في عمله التنصيري بكل عزيمة[1].

واعتبر أن هذا الرفض كان من قبل مجموعة صغيرة من سكان القرية وليس كلهم. لذلك رأى أمين هذه القرية أنه لابد أن يتحقق من رأي السكان في الأب كروازا وخاطبهم قائلا: "**هل ترغبون في اعتناق المسيحية؟**" **وهل تسمحون ببقاء الأب كروازا** ؟ فكانت إجابتهم "برفض اعتناق الديانة المسيحية، فقالوا سوف نختار الموت بدلا من التخلي عن ديننا ورفضوا أيضا بقاء هذا الراهب وسطهم، فاضطر أن يغادر قرية بني فراح متجها إلى قرية أخرى يطلق عليها اسم "بني يني" ليباشر العمل فيها. وأنشأ فيها مركز ديني للقيام بالأعمال الطبية، لكن شيخ هذه القرية حذَّر الضباط الفرنسيين برد فعل سكان القرية الذي سوف يكون عنيف إذا جاءها رجال الدين.[2]

لقد كان نشاط لاكروازا التبشيري مصدر قلق بعض العسكريين ونائب الوالي العام "البارون دوريو"، فالمعارضة التي لقاها أقلقت هؤلاء الفرنسيين ومن بينهم "هانوتو" الذي كان من أشد المعارضين للتبشير في منطقة القبائل للأخطار التي تترتب عليه، فكروازا حسب قولهم كان يقوم بالتبشير العلني، حتى أن بعض النساء القبائليات كن يترددن إلى المركز الطبي للمعالجة وتفاجأن من محاولة كروازا لتنصيرهن، فغادرت المكان ولما عدن إلى القرية أخبرن سكانها أن كروازا أراد تنصيرهن[3].

ورأى الكولونيل هانوتو أن كروازا لم يسجل أي حالة تنصير بالرغم من كل الجهود التي بذلها طيلة خمسة سنوات والسبب راجع إلى معارضة السكان الشديدة لفكرة التنصير.ورغم فشل كروازا في تنصير هاتين القريتين، إلا أن" الكردينال لافيجري" طلب منه مواصلة عمله التبشيري. وبعد المعارضة الذي لقاها قرر لافيجري إسكات المعارضين، فسافر إلى باريس وتقابل مع نابليون الثالث، ليطلب منه الإذن لفتح أربعة

[1]– سعيدي مزيان، المرجع السابق، ص 304.

[2]– خديجة بقطاش،المرجع السابق، ص 143–144.

[3]– المرجع نفسه، ص 143–145.

مراكز ببلاد القبائل من أجل مواصلة الأعمال الخيرية في المنطقة، لكن نابليون قد منعه من ممارسة الدعاية الدينية علنا وهذا الأخير أخذ موقفا متحفظا من طلبه[1].

وحتى يبرهن "هانوتو"بعدم جدوى الدعاية الدينية في تلك المنطقة سمح لليسوعيين (الأب ستيف) الذي خلف كروازا والأب جانين، والأب دوفالكون بزيارة قرية تاله نتزارت ببني بودراع. كانت علاقة أمين هذه القرية حسنة مع لاكروازا لذلك وعده بفتح بعض المراكز الخيرية. فتشجع الآباء لمعرفة آراء السكان حول النشاط التبشيري، فكان هؤلاء المبشرون الثلاثة يتوقعون قبول الناس للفكرة، لكنهم تفاجؤوا برفضهم الشديد لتواجدهم في المنطقة، وأمام هذا الرد قام الأب جانين بمعاتبة أمين القرية، فقام بتذكيره بالوعود التي أعطاها للأب لاكروازا، لكنه كانت إجابته أنني لا أستطيع إجبار السكان على قبولهم للمبشرين، أما أمين قرية بني منقلات كان عكس ذلك حيث كاتب هؤلاء المبشرين من أجل استقبالهم وأبدى حوالي عشرة آلاف من أهل المنطقة غضبهم منه، مما أدى إلى قذف هذا الأمين بالحجارة.[2]

ورغم كل هذه المحاولات الفاشلة، إلا أن "لافيجري" لم يستسلم فبقي متماديا في أعماله، وهذا ما جعل سكان منطقة القبائل يرون أنفسهم بأنهم ليسوا أحرارا في ممارسة ديانتهم. والشيء الذي يمكن استخلاصه من كل هذه المحاولات التنصيرية في بلاد القبائل فقد كان فشلها للأسباب التالية:

-موقف السكان المعارض لكل محاولة تبشيرية بسبب تمسكهم بالدين الإسلامي

-الصراع الذي حدث بين لافيجري وبين الجنرال مكماهون، وكان له انعكاسه على النشاط التبشيري ببلاد القبائل لانشغال لافيجري به.

-تركيز جهود المبشرين على إنقاذ الأطفال اليتامى، واهتمامهم بإنشاء القرى العربية المسيحية بسهل شلف

-معارضة الكولونيل هانوتو لكل محاولة تبشيرية مخافة انتفاضة السكان[3].

في المحصلة، فشل لافيجري وأنصاره من المبشرين رغم كل الجهود التي بذلوها في تنصير سكان منطقة القبائل. وفي هذا السياق صرح هذا الأخير عندما اتضح له فشل هذه السياسة بقوله:" **إننا خسرنا في بلاد**

[1]- خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص 146-148.

[2]- المرجع نفسه، ص 149.

[3]- المرجع نفسه، ص 150.

القبائل ما حققناه في لبنان".[1]ونستنتج من كل هذا أن هدف فرنسا من هذا المشروع التنصيري هو استمالة القبائليين إلى صفهم والقضاء على ديانتهم الإسلامية التي تربطهم بإخوانهم العرب، وهذا كله بهدف تفكيك المجتمع الجزائري وتثبيت وجودها بخلق حلفاء لها.

2-التنصير في منطقة بني ميزاب:

في عام 1872 عرفت منطقة بني ميزاب بعثات تنصيرية بهدف تنصير سكانها، لكن أمام شدة محافظة الميزابيين على ديانتهم جعل المنصرون ينتهجون سياسة أخرى كالتحلي بالصبر. وقد استقروا بعيدا عن القصور الميزابية تمهيدا لعملية التغلغل، وقد تمكن المنصرون من فتح عدة مراكز في المنطقة موضحة كالتالي:[2]

-الأخوات البيض:

	تاريخ تأسيسه	عدد الأخوات فيه	عدد المسجلين في مركز التكوين الحرفي	عدد الأيتام في الملجأ	المعالَجون في المستوصف	المعالَجون في منازلهم
غرداية	1892	8	100	8	9600	800

-الآباء البيض:

المركز	تاريخ تأسيسه	عدد الآباء	عدد المسجلين في مركز التكوين الحرفي	عدد المسجلين في المدرسة	عدد المنَصَّرين(نهائيا)	عدد المتنصرين مبدئيا(في طريق التنصير)
غرداية	1884	3	/	85	8	16
	1892	4	15	39	31	36

لقد تمركزت الأخوات البيض في المكان الذي صار يعرف حديثا بمسجد بوشمجان. وفي قصر الراعي حيث كُن يقدمن تعليما حرفيا في الخياطة والطرز للبنات الميزابيات وبلغ عدد التلميذات خمسون فتاة ميزابية.[3]

[1]- محمد سي يوسف، المرجع السابق، ص 24.

[2]- قويع عبد القادر، النشاط التنصيري في الصحراء الجزائرية والموقف الإصلاحي منه منطقتي الزيبان وميزاب أنموذجا، مجلة قضايا تاريخية، المجلد4، العدد2، قسم التاريخ، جامعة الجلفة، 2019، ص 28-29.

[3]-المرجع نفسه،ص 29.

3-شارل فوكو ومحاولة تنصيره للطوارق:

في 1903 طلب المسؤول عن الواحات الصحراوية الرائد لاربين من "شارل دوفوكو"(Charles de Foucauld)[1] المشاركة في حملات تموين ينظمها لفائدة الطوارق الذين تقتضي مصلحة الفرنسيين التوسعية إخضاعهم بالطرق السلمية[2].وكان دوفوكو يظن أن الطوارق أقل تعلقا بالإسلام لبعدهم عن الحواضر الإسلامية الكبرى. لكن دوفوكو أخطأ في ظنه هذا، فالطوارق أكثر تعلقا بالإسلام مقارنة بالكثير من مسلمي المدن العامرة بالمؤسسات الدينية. وعند إقامته وسط سكان الطوارق بدأ يسجل كل ما يلاحظه وأخذ يتعلم لهجتهم، فرأى أنه من الصعب تغيير دينهم، لأنه راسخ ومتجذر فيهم. لقد كان أسلوب فوكو في التعامل مع السكان يتميز بحسن المعاملة والتظاهر بالسعادة والملاطفة في كل الأوقات من أجل جذب أهل المنطقة ومع ذلك لم يستطع فوكو تنصيرهم. [3]

ثانيا: استبدال القوانين العرفية محل التشريعات الإسلامية

لقد اهتمت فرنسا منذ بداية احتلالها للجزائر بالقوانين العرفية التي كانت سائدة في المجتمع الجزائري. لذلك عينت باحثين من أجل البحث ودراسة هذه القوانين، فأول دراسة نشرت عن هذا الموضوع بعنوان "**منطقة القبائل والقوانين القبائلية**" لهانوتو ولوتورنو، والتي تعد من أهم المصادر التي يعتمد عليها في هذا المجال.[4] لقد قام هانوتو بهذه الدراسة عندما تم تعينه كقائد في منطقة القبائل(ذراع الميزان) سنة 1859،

---

[1]- شارل دي فوكو: ولد فوكو في ستراسبورغ في 15سيبتمبر 1858، دخل في الجيش(الإفريقي)، ووصل إلى رتبة ملازم أول، وعمل في أنحاء الجزائر: تلمسان وعنابة وسطيف، كان قد تخرج من مدرسة سان سير، درس اللغة العربية، وتعرف على مسالك الصحراء وسكانها، تجول في الصحراء الجزائرية فزار الأغواط وغرداية وواحات ميزاب وورقلة وتقرت، بعدها نسق نشاطه مع الآباء البيض، وأخذ في تعلم اللهجة التارقية وأصدر معجما عنها، ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج6، المرجع السابق، ص 134.

[2]- كمال بن صحراوي، حركة التنصير في الجنوب الجزائري"جهود دو فوكو أنموذجا"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، المجلد3، العدد1، جامعة تيارت، 2020، ص 266.

[3]- ليندة عمراوي، شارل دي فوكو في الجنوب الغربي الجزائري.المهمة المزدوجة، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد8، العدد02،جامعة لونيسي علي البليدة2، 2022، ص 168-169.

[4]-عبد النور غرينة، المجتمع الجزائري في الكتابات الأنثربولوجية الفرنسية حالة الشرق الجزائري إبان الفترةالإستعمارية1880-1962، المرجع السابق، ص 81.

فهدف فرنسا من معرفة هذه القوانين إصدار تعليمات أو تطبيق سياسة من خلالها تستطيع بسط نفوذها في هذه المناطق، فرأت أنها لابد من إبقاء هذه القوانين على ما هي عليه، لأن الكثير منها يتنافى مع الإسلام وهذا لصالحها.[1] لقد قسم الفرنسيون بلاد المغرب العربي فيما يخص المجال القضائي إلى قسمين:

-**القسم الأول:** يعرف ببلاد القانون المكتوب وتبنى الإسلام في القضاء

-**القسم الثاني:**تبنى القوانين القضائية المحلية (القوانين العرفية) المتوارثة شفويا. وفسر هؤلاء الباحثين أن هذه المجتمعات التي تعتمد على القوانين العرفية لم تطور فهي تعيش حياة بسيطة، ولهذا اعتمدت على التفاوض كحل لمعالجة النزاعات بعيدا عن القضاء. لذلك أحلوا القوانين العرفية محل الحكم الشرعي، وأصبح العرف قانونا تنفذه الجماعة (ثاجماعث). وكانت منطقة القبائل وبني ميزاب والأوراس ضمن القسم الثاني المتعلق بتطبيق القوانين العرفية في حل الخلافات، فالعرف هو اعتياد الأشخاص على سلوك معين، ويصبح ذلك السلوك قانونا، وقد نشأ هذا العرف تلقائيا لحاجة المجتمعات البربرية في تنظيم العلاقات الاجتماعية ولحفظ أمنها واستقرارها.[2]

لقد كانت المجتمعات البربرية أكثر المناطق تطبيقا لهذه القوانين. لذلك قسم الفرنسيون المناطق التي تطبق فيها القوانين العرفية على حسب درجة تعريبهم كما يلي:

-الصنف الأول من البربر المستعربون يطبقون الإسلام كتشريع لهم

-الصنف الثاني من البربر غير المستعربين تماما يخضعون للإسلام لكنهم يطبقون القوانين العرفية

-الصنف الثالث من البربر غير المستعربين يطبقون القوانين العرفية بصفة مطلقة.

كان إميل مسكاري من بين الفرنسيين الذين اهتموا بالقوانين العرفية المتعامل بها في المناطق البربرية (بني ميزاب، القبائل، الأوراس) حيث قال: "**صرح لي أحد الرجال في "منعة" قائلا، لا أحد كان يحكمنا ولا نعترف إلا بالجماعة**"، فكانت الجماعة هي السلطة الوحيدة التي يلجأ إليها سكان الأوراس[3].ونستطيع القول أنه في منطقة الأوراس بدل من أن يلجأ الأشخاص المتنازعين إلى المحاكم القضائية أو إلى الشرطة من أجل إيجاد

---

[1]- عبد النور غرينة، المجتمع الجزائري في الكتابات الأنثربولوجية الفرنسية حالة الشرق الجزائري إبان الفترةالإستعمارية1880-1962، المرجع السابق، ص 82.

[2]- المرجع نفسه، ص 82-83.

[3]- المرجع نفسه، ص 84.

حل لمشكلة ما، يتوجهون إلى كبار العرش في أغلب الأحيان، فيتم استدعاء الإمام لإعطائهم الحلول الممكنة والمتفقة مع الشرع، أو لإنهاء الخلاف بين المتنازعين.وإلى يومنا هذا هناك العديد من العروش في الأوراس يفضلون العودة إلى الجماعة لحل نزاعاتهم من أجل عدم تضخيم المشكلة حسب قولهم.

لقد حاولت فرنسا أن ترجع أصل هذه القوانين العرفية إلى الحضارة الرومانية من أجل إبعادها عن كل ما يخص الدين الإسلامي وتعاليمه. لذلك قامت بتشجيع المستشرقين للقيام بدراسات تثبت بكل الأدلة والبراهين هذا الأمر، ومن بينهم روني موني الذي ألف كتابا سماه" **أعراف جزائرية**". وفي هذا الكتاب حاول أن يربط أعراف البربر بالأصل الروماني ويقول في هذا الصدد" **إنهم أقرب إلى الأوروبيين وذلك ظاهر في قوانينهم العرفية، وعلى الفرنسيين أن يندمجوا معهم**". ولتحقيق هذا الهدف حاول موني أن يثبت بكل الطرق فكرة أن القوانين العرفية في منطقة القبائل رومانية الأصل، حيث وضح التشابه بين الأعراف البربرية والرومانية[1]

فيما يلي:

أ-التشابه في قوانين الأسرة:ذكر أن الزوج الروماني والقبائلي يتشابهان، فكلاهما يتمتعان بالقوامة

ب-التشابه في تطبيق العقوبات:لقد رأى موني أن تطبيق عقوبة الإعدام على المرأة الزانية **تنفذه ثاجماعث**[2]مثلما يطبق عند الرومان

ج-الثأر ورفض الدية: لقد حاول المستشرقون إظهار قوانين منطقة القبائل على أنها غير خاضعة للأحكام الشرعية، ولمحاولة تأكيد صحة كلامهم قالوا"**أن المسلمين يتعاملون بالدية فهي موجودة في القرآن والسنة، ولكن سكان القبائل لا يتعاملون بها بل يطبقون الثأر الذي أخذوه من الرومان**"[3]. وأورد هانوتو في هذا الصدد "**أن القانون العرفي لا يسمح عندهم بإجراء الدية. وهذا التعامل الإسلامي الذي يدفع ثمن الدم**

---

[1]- جمال كركار، القانون العرفي الجزائري خلال فترة الاحتلال قانون منطقة القبائل أنموذجا مقارنة بين القوانين الفرنسية والشريعة الإسلامية، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، المجلد3، العدد5، جامعة الجزائر(1)، 2014، ص 141.

[2]- ثجماعث: أو الجماعة هي مؤسسة يجتمع فيها عامة المواطنين يكنون في سن الرشد، تجتمع مؤسسة ثاجماعث مرة واحدة في كل أسبوع في اليوم الذي ينعقد فيه السوق الأسبوعي للقبيلة، وفي حالة ما حدث أمر استثنائي يجتمع، كل المواطنين المنخرطين في ثاجماعث فهم مطالبون بالحضور ومن يتغيب دون سبب شرعي يتعرض لغرامة مالية. ينظر إلى: أ.هانوتو وأ.لوتورنو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، تر: مخلوف عبد الحميد، ج 2، د.ط، دار الأمل، تيزي وزو، 2013، ص21.

[3]- جمال كركار، المرجع السابق، ص 141.

بالذهب هو مرفوض عند قبائل جرجرة، ومسموح به استثناءً عند جيرانهم بواد الساحل.إن إراقة الدم عندهم لا تكون إلا بقتل الجاني، فلا يكفي عندهم الضرب والجرح"[1].

وحسب رأينا، فإن مسألة الثأر موجودة حتى عند العرب، فهناك أمثلة عديدة عن عروش عربية تبنت الثأر كعقاب للجاني. وهؤلاء الفرنسيين دائما ما يستغلون الحوادث لخدمة مصالحهم، ونحن لا ننفي بأن هناك قوانين عرفية منافية للدين الإسلامي ورثوها عن أجدادهم التي ينظرون إليها على أنها أساسية في بناء المجتمع كالقانون العرفي الذي حرم المرأة القبائلية من الميراث، فحاولت فرنسا إظهارها واستغلالها لإظهار سكان منطقة القبائل كنسخة مشابهة للفرنسيين في كل شيء.

د-رفض القبائل توريث الإناث:تعتبر قضية الميراث من بين القضايا التي أحدثت نقاشات عديدة، باعتبار أن الأعراف القبائلية تحرم المرأة القبائلية من حقها الشرعي في الميراث، حيث تم الاتفاق سنة 1748 بين عدة أعراش من القبائل على معاهدة يتم فيها منع المرأة من حقها في الميراث. والأكيد أن هذا الأمر منافي لتعاليم الإسلام والفرنسيين ركزوا كثيرا على هذه النقطة، ومن بينهم هانوتو الذي ركز على علاقة هذه الأعراف بالقرآن في دراسته بعنوان "**القوانين القبائلية**" حيث أعطى لها شرحا مفصلا ومدى توافقها مع الشريعة الإسلامية[2].

وذكر بعض المستشرقين أن القبائل يرفضون دين محمد صلي الله عليه وسلم، حيث أنهم يفرضون عقوبات مالية لمن يعطي الأنثى حقها من الميراث، ودعموا هذا القول بحجج مادية ولغوية. ورأى بعض الكتاب الفرنسيين أن وجود الصليب في بعض بنايات سكان القبائل وفي شكل الوشم الذي تستعمله المرأة القبائلية دليل على الأصل الروحاني المسيحي، وقال فرنسوا شافريا: "**عندما زرت منطقة القبائل وجدت في أبوابها علامة الصليب وتعجبنا لذلك جدا، وهذا دليل على أن القبائل كانوا مسيحيين**"[3].

لقد اهتمت فرنسا بالأعراف في منطقة القبائل من أجل إنجاح سياستها ويقول ماسكاري في هذا الصدد "**أن القوانين البربرية تساعد بشكل خاص سياستنا،لأنها تختلف عن القوانين الإسلامية، فالقانون البربري هو وسيلة ثمينة بالنسبة لنا، كلما استعملناه كلما اتسعت الهوة بين المسلمين العرب وبين البربر**". وكان

---

[1]- جمال كركار، المرجع السابق، ص 142.

[2]- زمور غانية ومولاي مراد، الدين ممارساته وتمثلاته-من خلال أعراف القبائل-حالة منطقة تيزي وزو، مجلة أنثروبولوجية الأديان، المجلد18، العدد02، جامعة وهران، 2022، ص 318-319.

[3]- جمال كركار، المرجع السابق، ص 142.

ماسكاري من الفرنسيين الناقمين على العرب والإسلام، حيث كان ينظر إليهم بشكل سلبي في المقابل كان من المدافعين عن القبائل حيث قال" **بالتأكيد إذا كان عندنا واجب في الجزائر، فهو محاربة الإسلام عدونا الأبدي بجميع الوسائل**"[1].

وبالتالي، قامت السلطة الفرنسية بتدعيم هذه القوانين العرفية واستبدلتها بالقوانين الفرنسية لكونها ملائمة لنفسية القبائل التي زعموا أنها لم تتأثر كثيرا بالوازع الديني. زيادة عن ذلك تم إلغاء الأحكام الشرعية لدى القبائل وهو الفعل الذي يعتبر بمثابة القضاء على العامل المشترك–الأحكام الشرعية– الذي يوحد الجزائريين ويحفظ كيانهم. ولتحقيق هذا المسعى بادر الحكام الفرنسيون بالجزائر بعد إخضاعهم لبلاد القبائل إلى إلغاء أحكام الشريعة الإسلامية التي كانت متبعة في أوساط قبائل جرجرة، فأصدر حاكم الجزائر "راندون" تعليمة تحت رقم497 بتاريخ 1858 للضباط العسكريين القائمين على المكاتب العربية ببلاد القبائل يطلب فيها منهم التخلي في معاملاتهم عن القوانين التي لها اتصال بالشرع الإسلامي والتي كانت "المكاتب العربية" تطبقها في كل أنحاء الجزائر واستبدالها بتنظيم محلي خاص بالقبائل[2].

وبالفعل دخلت هذه التعليمة حيز التنفيذ العملي بعد أن صيغ العرف القبلي في شكل قوانين قابلة للتطبيق. ومن بين الضباط المتحمسين لاستبدال أحكام الشرع الإسلامي بالعرف القبلي العقيد بيشو، فقد كان يرى أن من واجب فرنسا أن تصوغ كل الأعراف والتقاليد القبلية في شكل أحكام وتطبقها في كل بلاد القبائل، فقد وجد المساعدة من العقيد هانوتو ومستشاره لوتورنو، وأكد هانوتو في رسالته المؤرخة 14 نوفمبر 1869 للسلطات الفرنسية "**أن فكرة إحياء العرف القبلي قد فرضت نفسها وشقت طريقها للتطبيق في شكل أحكام موحدة وموثقة على نصف مليون من البربر**". وبالفعل فقد انصب اهتمام الضباط الفرنسيين العاملين بمنطقة القبائل على توفير المادة القانونية القابلة للتطبيق اعتمادا على الملاحظات التي جمعوها والكتابات التي أنجزوها حول عادات وتقاليد القبائل بعد عملية بحثهم وجدوا مادة قانونية عرفت "بالقانون القبلي"[3].

---

[1]– عبد النور غرينة، المجتمع الجزائري في الكتابات الأنثربولوجية الفرنسية حالة الشرق الجزائري إبان الفترةالإستعمارية1880–1962 المرجع السابق، ص85.

[2]– ناصر الدين سعيدوني، المسألة البربرية دراسة للحدود الإثنية للمسألة المغاربي، مجلة عالم الفكر، المجلد2، العدد4، الكويت،2004، ص149–150.

[3]–المرجع نفسه، ص150.

وأوكلت فرنسا إلى كل من كاريت ودوما وهانوتو ولوتورنو وميو مهمة تجميع هذه المادة وصياغتها. لهذا استطاعت الإدارة الفرنسية ببلاد القبائل إلغاء أحكام الشريعة الإسلامية المتعلقة بالأوقاف والمعاملات من طلاق وزواج وما يتفرع عنهما من ميراث ووصية وتعويضها بالقانون العرفي وذلك بعد إصدار القانون في 31 ديسمبر 1859. هذا القانون نظم محاكم الشرع الإسلامي في البلاد وينص على أن أحكام الشرع الإسلامي لا تشمل بلاد القبائل.[1]

ولم تأت سنة 1871 حتى قامت هذه المنطقة بثورة شهيرة بقيادة المقراني، وحاصرت حصون الفرنسيين ومعسكراتهم.وجراء هذا الفعل قامت فرنسا بفرض غرامة مالية على سكان المنطقة قدرها 26 مليوناً فرنكا فرنسي، مع سحب جميع أملاكهم وتوزيعها على المستوطنين.واستغلت فرنسا هذه الحادثة وحلت جميع الجماعات البربرية (ثاجماعث) [2]. وفي 29 أوت 1874 تم استبدال محاكم الصلح وأرغم سكان القبائل على التقاضي لدى قضاة الصلح الفرنسيين[3]، ويتم الاستعانة بأحد البرابرة في تطبيق العوائد. وفي 17 أفريل 1889 صدر قانون آخر مفاده استغناء قاضي الصلح عن مساعدة البرابرة في جميع المواد الأخرى.[4]

ويمكن القول في هذا الصدد أن هدف فرنسا من حل قانون ثاجماعث واستبداله بقانون الصلح الفرنسي هو ضم هذه الفئة إلى فرنسا وإدخالها بكل الطرق إلى الحضارة الفرنسية وسعت الإدارة الفرنسية من هذه السياسة إلى تفريق أبناء الشعب الواحد. وكتب إميل شارفيا في هذا الصدد في كتابه "عبر بلاد القبائل وفي المسائل القبائلية"سنة 1889" **يوجد في الجزائر عنصران متميزان من حيث اللغة والعادات وحتى الدين، وهما العنصر القبائلي والعنصر العربي، ويجب علينا أن نبقى على هذا التمايز والانقسام**". ويؤكد ذلك بلاوسلار بقوله "**يجب علينا حماية القبائل وتفضيلهم في كل الظروف على العرب**"[5].

---

[1]– أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر ،ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 344.

[2]– محمد المكي الناصري، فرنسا وسياستها البربرية في المغرب الأقصى، ط2، شركة بابل، العراق، د.س.ن، ص 18.

[3]– عقيلة ضيف الله، سياسة الاحتلال الفرنسي في الجزائر(1830–1954)، مجلة حوليات جامعة الجزائر، المجلد11، العدد1، معهد العلوم الإنسانية والعلاقات الدولية، 1998، ص 327.

[4]– محمد مكي الناصري، المرجع السابق، ص 18.

[5]– ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وأفاق مقاربة للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ط3، البشائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 90.

المبحث الثالث: إستبدال اللهجة العامية "الدارجة" محل اللغة العربية الفصيحة

يرى دعاة التفرنج (التخلق بالأخلاق الأوروبية) أن اللغة مجرد وسيلة للتواصل فحسب، وبالإمكان تغيرها واستبدالها بلهجات محلية عامية، وهذا ما استخدمه المستعمر الفرنسي في القضاء على لغة القرآن الكريم، وابعاد أفراد المجتمع الجزائري على فهم كل مايتعلق بدينه الإسلامي وبثقافته كمسلم. وحتى يتمكن من اقصاء اللغة العربية اعتبر "الدارجة" اللغة الرسمية في المراحل التعليمية[1]، وجعلها لغة التدريس وبها تصاغ الكتب المدرسية الموجهة لمختلف المراحل. وعمدت على التوسع في إشاعة ثقافة وحروف وكتب اللهجات المحلية وتسميتها قصدا باللغات بدل القول عنها لهجات، أما فيما يخص توفر المنشورات والكتابات فقد أشرفت على إصدارها الإدارة الإستعمارية. ومضمونها يكشف الحقيقة التي كتبت من أجلها، فأغلب مواضيعها تبث مفاهيم عنصرية، وأقيمت سياستها على تنوعات اللهجات العامية، لأن ذلك الجهد المبذول يتوافق مع المصالح الأيديولوجية والمصالح الثقافية للمستعمر[2].

ونذكر مثال عن الكتب التي نشرت في هذا الشأن نجد كتاب "الطريق المستقيمة" لتعليم اللغة العامية لمؤلفه ديسبارمي الذي يشتمل على مجموعة من الدروس العامية المكتوبة بالحرف اللاتيني أولا والحرف العربي ثانيا، ونعرض نص منه بعنوان "واش تعملوا فالدار[3]: **في المدرسة نتعلموا نقراوا ونكتبوا ونحسبوا ونصوروا واحنا نصنتوا له، الشيخ يسقصي فينا واحنا نواجبوا، الشيخ يعايركم تستحيوا، وإذا الشيخ يفسرلهم الكلمات والتلاميذ يفهموا، الشيخ يحكي لهم الحكايات والتلاميذ يضحكوا."**[4]

اعتبر المستعمر أن اللغة العربية الفصحى، لغة كلاسكية ولغة ميتة.ولهذا حاول بكل الطرق تشجيع اللهجات، وأشرف على هذه العملية المستشرق الفرنسي "هنري بيرسي"(Henry Percy)، الذي ألف كتب عن اللهجات المحلية موجهة للتعليم المدرسي، وأطلق عليها إسم اللغة العربية الحية باعتبارها المتداولة بين

---

[1]– محمد الحاكم بن عون، المسألة الدينية في الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي(1830–1954)، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ المعاصر،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة باتنة1، 2019، ص 117.

[2]– قشاشني علي، التوجه المعادي للغة العربية في السياسة الفرنسية بالجزائر، مجلة آفاق علمية، المجلد12، العدد4، جامعة الجيلالي اليابس، 2020، ص 44–45.

[3]– المرجع نفسه، ص 54.

[4]– عبد الله بوخلخال، الدعوة إلى العامية أصولها وأهدافها، مجلة الآداب، المجلد1، العدد1، جامعة قسنطينة، 1994، ص 180.

الناس.[1]ومن بين المستشرقين الذين ساهموا في تدريس اللهجات العامية لدينا "ج. شربونو" Jacques) CHerbonneau) (1813-1882) الذي تعلم اللغة العربية بمدرسة دي ساسي وكوسن دي برسفال، ثم وفد إلى الجزائر حيث كلف بالتدريس بالمدرسة الفرنسية بقسنطينة وعمل على تنظيمها.[2]

إن هذه الدعوات إلى العامية وإقحامها في الواقع الحياتي وداخل المدارس، أدى إلى إنحطاط المستوى الثقافي، فأبعده عن مرجعيته الدينية، بإقصاء القرآن وعدم فهم السنة،وساهم مساهمة كبيرة في عزل اللسان العربي وثقافته عن المجتمع الجزائري، ولإحلال اللهجات العامية عملت فرنسا على مايلي[3]:

1-التمكين للسان البربري وتوليد شعوبية[4] ضد العرب:

وقد روج لإحلال اللهجات البربرية بدلا من اللغة العربية –التي تعتبر هذه الأخيرة لسانا للفرد الجزائري التي إعتمدها عقب إعتناقه الدين الإسلامي– من بعض المستشرقين الفرنسيين.إن الفرنسيين عملوا على تأجيج الأفكار التي من شأنها أن تفرق بين العنصريين البربري والعربي مثلا أن العرب هم الذين طردوا القبائل إلى الجبال. لذلك فهم يكنون بغضاء متوارثة للعربي المُستعمِر، ومن خلال طرح تاريخية اللغة مثل قولهم:"... **هذه دخلت؛ أي اللغة الفرنسية مع الفرنسيين، وتلك أي اللغة العربية مع دخول العرب الفاتحين، فليس للعربية فضل أصالة على الفرنسية، وإنما اللغة الأصلية لسكان الجزائر هي اللغة الأمازيغية"[5].**

ومن خلال هذا الطرح نستطيع القول أن الإدارة الإستعمارية عملت على توليد البغض والكراهية بين البربر والعرب، فشنت حملة ضد اللغة العربية التي كانت بالنسبة للبربر ذات مكانة كونها لغة القرآن، والإسلام عندما دخل شمال إفريقيا إعتنقه هؤلاء وتوطن قلوبهم فكانت غاية المستعمر هي أن يتخلى هؤلاءعن دينهم وبالتالي يسهل التحكم فيهم.كما سعت–الإدارة الإستعمارية–على إظهار أن البربر لديهم أصل متميز ليس

---

[1]– محمد الحاكم بن عون، المرجع السابق، ص 117-188.

[2]– محمد جعجيع، دور الإستشراق الفرنسي في استعمار فرنسا للجزائر، مجلة المعيار، المجلد5، العدد10، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، 2005، ص 38.

[3]– محمد الحاكم بن عون، المرجع السابق، ص 118.

[4]– الشعوبية: نسبة إلى الشعوب ومفردها شعب، هي حركة ثقافية حضارية مناهضة للعرب، والشعوبيين هم أولئك الذين كانوا ينتمون إلى تلك الشعوب التي اعتنقت الإسلام ويكنون على العرب أي فضل يتميزون به وأساسهم العصبية، تعود جذورها إلى بداية الفتح الإسلامي. ينظر إلى: رضا رافع، ظاهرة الشعوبية في العصر العباسي، مجلة المدونة، المجلد2، العدد2، مخبر الدراسات الأدبية والنقدية، 2015، ص 116، 118.

[5]– محمد الحاكم بن عون، المرجع السابق، ص 118.

كباقي الأعراق الأخرى (العرب) وذلك بهدف إحداث تنفير بين البربري والعربي. فلعبت على أوتار الروابط التي تجمع البربر والعرب، ألا وهي اللسان والدين فأرادت مصادرة اللسان العربي وجعل اللغة العربية لغة ميتة "... **وكذلك مصادرة لسانهم العربي، والضرب عليه بالموت، لقولهم لا حياة لأمة مات لسانها**"[1].

وعندما إحتل الفرنسيون منطقة القبائل سنة 1857، قاموا بجمع معلومات من أفواه شيوخ المنطقة وقدمائها عن أصل السكان هناك، فكانت خلاصة هذا البحث أن شيوخ بلاد القبائل يعتقدون أن أصلهم من العرب ماعدا قبيلة (فراوسن وا يجر وغوبري) التي قيل أنها فارسية[2]. وأرادت فرنسا من خلال كل هذا مزج القبائلي بالروماني، لتسهيل الفصل بين العرب من جهة وتأكيد الأصل الروماني المسيحي لهؤلاء من جهة أخرى[3].

2-آليات ترقية اللسان البربري:

عملت فرنسا على جلب البربر إلى الحرف اللاتيني، وذلك بترقية اللغة البربرية والحفاظ على لهجاتها المختلفة (القبائلية، الشاوية، المزابية، التارقية والشلحية) بهدف إضعاف اللغة العربية، وذلك من خلال العديد من المبادرات التي منها:

-منع تدريس اللغة العربية في بلاد القبائل في المدارس الفرنسية، فبدأ التعليم الفرنسي في بلاد القبائل قبل مناطق الجزائر الأخرى. وأسس فيها المبشرون من الآباء البيض والراهبات (1873-1880) مدارس عديدة، بهدف فصلهم عن العرب وتنصيرهم لتقربهم من المستوطنين الأوروبين.

-دراسة اللهجة القبائلية يتوج بتسليم شهادة للغة القبائلية وينال الحاصل عليها على علاوة مالية قيمتها (300 فرنك).

-إنشاء كرسي اللهجات البربرية في 1885، بكلية الآداب بالعاصمة.

-إستحداث منح دراسية معتبرة لصالح الفرنسيين لتعلم اللهجة القبائلية[4].

---

[1]- محمد الحاكم بن عون، المرجع السابق، ص 119-120.

[2]-أحمد بن نعمان، فرنسا والأطروحة البربرية الخلفيات الأهداف والوسائل والبدائل، ط2، شركة دار الأمة للطباعة، الجزائر،1997، ص19.

[3]- محمد الحاكم بن عون، المرجع نفسه، ص 120.

[4]- المرجع نفسه، ص 121.

-إجبار القضاة -الموثقون-على تقديم شهادة في اللغة القبائلية كي يمارسوا مهنتهم،[1] حيث تقرر سنة 1906 إلزام القضاة الموثقين الذين يشتغلون ببلاد القبائل أن يحرروا عقودهم بالفرنسية وليس بالعربية ولكن هذه المحاولة فشلت حيث أن 2.5% من العقود كتبت بالفرنسية فقط، وفي سنة 1911 حاولت الإدارة الفرنسية تعميم الفرنسية، ولكن لم يقبل إلا قاض واحد الصياغة بالفرنسية وبأسلوب سليم، وأما الآخرون فتعمدوا إرتكاب الأخطاء، فكان رد فعل القبائلين على هذا الفعل هو هجر هؤلاء القضاة -الذين يتعاملون بالفرنسية - وتوجههم إلى قضاة يحررون باللغة العربية .

-التركيز على تقوية اللغة البربرية، لإضعاف اللغة العربية لدى هذه الفئة، وضرب وحدة المجتمع الجزائري، ومن المجهودات المبذولة لإحيائها وتقويتها كثرة التأليف وتسليط الضوء على لهجاتها وآدابها[2]. ومن بين هؤلاء الذين ألفوا دراسات في القرن 19م عن اللهجات البربرية نجد "موتيلانسكي" الذي نشر عن لهجة ميزاب وغدامس عرف بكتاب مخطوط بالبربرية عن لهجة قبيلة "زوارغة". وكتب "ايميل ماسكاري" قاموسا فرنسيا-تارقيا، وبوحثا عن لهجات ميزاب والشاوية والزواوية، وقام "هويغ" بنشر قاموس فرنسي-شاوي وفرنسي-قبائلي. وفي هذا العهد أيضا كان الراهب "شارل دوفوكو "،صديقا لكل من "باصيه" "والمارشال ليوتي"(Lyautey)، ويدرس شؤون المغرب والصحراء إلى الهقار، وألف قاموسا عن اللهجة البربرية في المناطق المختلفة من الصحراء.[3] في هذا السياق قال مسؤول دائرة تيزي وزو في رسالة إلى الحاكم العام سنة 1873 مايلي: "... **لتعليم هذا الشعب القبائلي يجب إلغاء الوسيط العربي... لأنه كان حتى الأن ضارا أكثر منه نافعا، وبكلمة واحدة يجب أن نكلمه بلغتهأو تعليمه لغتنا..."**[4].

-وضع قواميس لمعرفة معاني كلماتها وقواعد خاصة بها. ولربط العلاقة بين البربر في شمال إفريقياصدر قرار سنة 1915م بتأليف لجنة للأبحاث البربرية والتي أصدرت نشرية بعنوان "الأرشيف البربري"[5].

---

[1]-كميل ريسلر، المرجع السباق، ص 219.

[2]-المرجع نفسه، ص 121-122.

[3]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954 ،ج6، المرجع السابق، ص 55.

[4]- عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، د.ط، شركة دار، الجزائر، 2013، ص 85.

[5]- محمد الحاكم بن عون، المرجع السابق، ص 122.

-التفريق بين العربي والقبائلي في المندوبيات المالية، فيقول أبو القاسم سعدالله أن التقسيم اللغوي أخذ يتوسع ليشمل التقسيم العرقي والسياسي، فكان في المجلس النيابي المعروف (بالوفود المالية) قسمان، قسم عربي وقسم قبائلي[1].

3-أهداف فرنسا من وراء التمكين للبربرية(غاية فرنسا من إحياء اللهجات البربرية):

عمل المستشرقون والمبشرون وعلى رأسهم "هانوتو"، "ورينيه باسيه"(René Basset)، وغيرهم على تحقيق غايتين أساسيتين:

أ-الغاية الدينية: تتمثل في تمسيح أجيال البربر وتنصيرهم، إنطلاقا من إستخدامهم للحرف اللاتيني ومدى إرتباطهم بالجنس الأوروبي الذي ينطقها ويتواصل بها.

وكانت غاية الصحفي "سرفيي" تغيير ديانة البربر وفق نزعته المسيحية، حيث رأى أنها تتحقق من خلال طريقتين، إما من خلال طريقة المدرسة اللائكية، التي تهدف إلى طمس كل ماهو ديني، أو عن طريق التنصير بواسطة الآباء البيض فيقول:" ... **يجب في كل الأحوال الممكنة تشتيت شمل الأهالي، وتقسيمهم وعزل عناصرهم، ويجب أن تمارس الإندماج الفردي، وذلك بإجتثاث أحسن العناصر من مجموعة[2] البربر.فإذا لم تتوصل إلى ذلك المدرسة اللائكية؟ فلنترك الآباء البيض يتصرفون، فالبربر مؤهلين لتغير دينهم لأنهم حافظوا على بقايا موروثهم المسيحي واللاتيني"[3]**. وتتمثل هذه الغاية في:

-إكراه الجزائريين على أن يكونوا مسيحيين، وذلك كون الإستعمار الفرنسي وساسته وعلماؤه ومبشروه أجمعوا على أن هذه البلاد لايمكن الإطمئنان عليها إلا بعد إبادة الإسلام منها بدعوى أن الإسلام دين يبث في معتنقيه عاطفة المقاومة للأجانب، ويحول دون إندماجهم في الديانات الأخرى، وأيضا الإسلام يخلق فيهم – أي في معتنقيه– وحدة في الشعور وفي الفكر ويوجههم حيثما كانوا في إتجاه واحد[4]. كما أعلن الكتاب الفرنسيين في كتبهم الكثير من المغالطات التي تشوه تاريخ البربر منها أن "طارق بن زياد" القائد البربري المسلم الذي قاد جيوش العرب والبربر إلى الأندلس والذي كان رمزا للوحدة الإسلامية بين العنصريين

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، ج6، المرجع السابق، ص 56.

[2]- محمد الحاكم بن عون، المرجع نفسه، ص 123.

[3]- المرجع نفسه، ص 123.

[4]- محمد المكي الناصري، المرجع السابق، ص 15-16.

(العرب والبربر) في ذلك العهد، إنما كان بربريا مسيحيا أو على الأقل بربريا غير مسلم، وبهذا تريد فرنسا أن تدمج جمهرة البربر في الكتلة المسيحية الكاثوليكية[1].

-أن تجعل الجزائر عامة ومنطقة القبائل بصفة خاصة فرنسية روحا ولغة، وتسلخها عن لغتها العربية التي تعتبر روح ثقافتها ودينها يقول "ويليام مرسيي" (William marcy)"... **يجب التمييز بين نشر الإسلام وفرض العروبة، والواقع أن الأول كان على وتيرة أسرع من الثاني، فقد أصبحت بلاد البربر مسلمة في أقل من قرنين (ق7 – ق8)، في حين أنها لم تستعرب نهائيا إلى اليوم على إمتداد الأربعة عشر قرنا...إن تحول بربر الأرياف من زناتين وصنهاجين وكتامين إلى الإسلام، يكتنفه الغموض...**"[2]. يمكننا القول أن منظري المسألة البربرية عمدوا على التشكيك في نية البربر في إعتناقهم للإسلام فهذا ليس غريبا علينا فهولاء طبقوا مختلف المشاريع لإنجاح سياستهم.

ب-الغاية السياسية:

وهي التفرقة بين أبناء الأمة الجزائرية وإحداث شرخ بين البربري وأخيه العربي، ومحاولة القضاء على مابينهما من صلات تتعلق بالدم والعرق والخلق واللغة والفكر وأهم رابط هو الدين.

– رأى المنظرون أن سبب إنحطاط البربروتأخرهم عن الركب الثقافي، يعود بالدرجة الأولى لإنتمائهم إلى العرب وإعتناقهم للدين الإسلامي فقالوا: "... **إن من الخير العميم للبربر الذين يرغبون في العلم والتقدم والإلتحاق بركب الحضارة الأوروبية أن يندمجوا في صفوف إخوانهم النصارى اللاتينين قلبا وقالبا، وأن يخلعوا عنهم ثياب العروبة وينزعوا شعار الإسلام ويقطعوا كل مالهم به من صلة ماضيا وحاضر ...**"[3].

ومايمكن ملاحظته من خلال هذا القول أن فرنسا أرادت أن تدمج البربر في حضارتها، فعندما وجدت هؤلاء – أي البربر– يتمتعون بوحدتهم القومية ووجدتهم يعيشون في كنف الإسلام وجنب إخوانهم العرب، سعت إلى البحث والتخطيط عن سياسة تحطم هذه الوحدة، فوجدت في اللغة وسيلة في تحقيق هذه الغاية. لذلك سعت إلى إحياء اللهجات البربرية لتبعد الفرد عن اللغة الأم (العربية) وبالتالي يسهل عليها فرنستهم، وبصيغة أخرى يمكننا أن نستنتج أن فرنسا حاولت جعل اللهجات البربرية المحلية لغة معادية للغة الضاد الحضارية للشعب الجزائري.

---

[1]– محمد المكي الناصري ، المرجع السابق، ص 16-17.

[2]– محمد الحاكم بن عون، المرجع السابق، ص 124.

[3]– المرجع نفسه، ص 125.

خلاصة الفصل الثاني:

-يعتبر نابليون الثالث من أبرز الشخصيات التاريخية في القرن التاسع عشر ويعتبر أيضا من بين القادة الذين قدموا عدة مشاريع وقوانين لخدمة السياسة الاستعمارية، حيث تميزت فترة حكمه بعدة تقلبات وبالتوتر الذي كان بين المدنيين والعسكريين، ومن بين المشاريع التي طرحها مشروع المملكة العربية الذي كان الهدف منه إيهام المجتمع الجزائري بعدة قرارات التي كانت في ظاهرها لصالح العرب لكن في باطنها تهدف إلى تفكيك المجتمع الجزائري وذلك عندما حاول الدفاع عن حقوق العرب وإهماله للعرق البربري.

-لم تتمكن فرنسا من بسط نفوذها على الجزائر، فرأت أن الدين الإسلامي هو العائق الكبير أمامها، كونه يعتبر العامل المشترك بين كل الجزائريين وكونه يربط كل الأعراق في كتلة واحدة وأيضا يُعتبر المحفز الأول على الجهاد ومقاومة الاحتلال الأجنبي. لهذا رأت أن التنصير هو الحل للقضاء عليه. لكن سرعان ما فشلت العمليات التنصيرية لارتباط المجتمع الجزائري بدينهم. لذا عزمت على التركيز على المجتمع البربري أكثر وحاولت بكل الطرق تنصيرهم وضمهم إلى الحضارة الأوروبية، فكانت منطقة القبائل المستهدف الأول من قبل هذه السياسة (التنصير).

-لقد اهتم الفرنسيون بالقوانين العرفية التي كانت سائدة في المجتمعات البربرية(خاصة في منطقة القبائل)، وعندما درسوا هذه القوانين رأوا أن بعضها لا يخضع للشرع الإسلامي. فهذه هي النقطة التي كانت تبحث عليها فرنسا وحاولت استغلالها لصالح سياستها (سياسة التفرقة العنصرية) لذلك حاولت المحافظة على هذه الأعراف بإصدار عدة قوانين، بهدف توسيع الهوة بين العرب والبربر.

-سعت الإدارة الاستعمارية على تطبيق مختلف السياسات التي من شأنها تفريق أبناء الجزائر وجعلهم منقسمين دينيا وعرقيا وحتى لغويا، لذلك عملت على تشجيع اللهجات العامية خاصة اللهجات البربرية.

الفصل الثالث: التقسيم العرقي وانعكاساته1870 -1900م

تمهيد

المبحث الأول: الأسطورة القبائلية و انعكاساتها

المبحث الثاني: رد فعل الجزائريين على السياسة الفرنسية

تمهيد

ساهمت الدراسات التي أنجزها الضباط العسكريين وكذا الأساتذة الأكاديميين والرحالة الفرنسيين عن المجتمع الجزائري عامة ومنطقة القبائل بصفة خاصة، في تكوين مرجعا هاما تعتمد عليه الإدارة الفرنسية في إنشاء مشروعها وكذا تنفيذه الهادف إلى فصل القبائل عن باقي أقطار الجزائر وتقسيمهم إلى أعراق متنازعة فيما بينها. لكن كل هذه السياسات واجهت عراقيل عديدة من طرف الجزائريين ولم تحقق طموحاتها لكن تأثيرها وصل إلى البعض من الأفراد. هذا يدفعنا للتساؤل: إلى أي مدى ساهمت الأسطورة القبائلية في تقسيم أبناء المجتمع الجزائري وماهي انعكاساتها؟ فيما تمثل رد فعل الجزائريين على السياسة الفرنسية؟

المبحث الأول: الأسطورة القبائلية وانعكاساتها

أولا: الأسطورة القبائلية:

تمت صياغة الأسطورة القبائلية في الفترة الممتدة من 1840 إلى 1857، ثم تعمقت بين سنوات 1860-1870، وتم الإعلان عنها خلال الفترة الممتدة من 1871 إلى 1891.[1] إذ تعتبر هذه الأسطورة مشروع استعماري يهدف إلى تقسيم سكان الجزائر وتصنيفهم إلى بربر وعرب، وذلك من أجل توفير الشروط الملائمة لبقاء فرنسا في الجزائر ولتهيئة الظروف في حالة انتهاء السيادة الفرنسية لتكوين كيانات محلية قائمة على التمايز اللغوي والخصوصية الإثنية.[2]

ولقد وجد منظورا ومخططو السياسة الاستعمارية بالجزائر في المناطق التي مازال سكانها يستعملون لهجاتهم البربرية مثل "الأوراس وميزاب والهقار والقبائل" شروطا ملائمة لتحقيق ما يسعون إليه. فتم الاهتمام بمنطقة القبائل لعدة اعتبارات أهمها كون هذه المنطقة حسب نظر الفرنسيين أكثرها تقبلا وتأثيرا على باقي مناطق الجزائر وكذلك كونها أكثر كثافة سكانية وأيضا أن سكان هذه المنطقة لديهم مميزات مشتركة مع الفرنسيين.[3]

وبعد إخضاع بلاد القبائل وإخماد المقاومة بها(1844-1857) عمل الضباط الفرنسيين وكذا موظفي الإدارة المحلية في المنطقة على رصد خصائص ومميزات سكان القبائل عن غيرهم من أعراق الجزائر، وكان

---

[1]- شارل روبير أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا، 1871-1919، تر:حاج مسعود وبكلي، ج1، د.ط، دار الرائد للكتاب، الجزائر،2007، ص 494.

[2]- ناصر الدين سعيدوني، المسألة البربرية في الجزائر دراسة للحدود الإثنية للمسألة المغاربية، المرجع السابق، ص 143.

[3]- المرجع نفسه، ص 143.

هذا بتكليف وبتشجيع الحكام الفرنسيين العاملين بالجزائر مثل "الماريشال بيجو" والجنرال "راندون"(Randon) "ومكماهون" الذين كانوا يصدرون تعليمات خاصة بفصل القبائل عن غيرهم من الجزائريين في المعاملات وفي القوانين.[1]وقد أبدا هؤلاء الضباط والموظفون الفرنسيون حماسة وعزيمة في مهمتهم حتى عرفوا في أوساط الإدارة الفرنسية بالضباط والموظفين "ذوي الميول القبائلية"، إذ تولدت عندهم قناعات تتلخص في فصل القبائل عن باقي أعراق المجتمع الجزائري، وهذا ما جعلهم يؤمنون بضرورة أن يكون لفرنسة نخبة موالية لها وتخدم مصالحها في الجزائر[2].

أ- الأسطورة عند السياسيين:

كانت تصورات السياسيين الفرنسيين أصحاب التوجه الاستعماري، ترتكز على أحكام مفادها أن المجتمع الجزائري يتكون من مجموعة بشرية تنتمي إلى أعراق مختلفة وبالتالي يجب النظر إليه كعناصر متمايزة ولا تمتلك عامل موحد، وليس على أنه مجتمع واحد ويمتلك أصول بشرية متجانسة استمدت تلاحمها من تفاعل حضاري له جذور يستند على المقوم الإسلامي لغة ودينا، ومن خلال تصوراتهم هذه تم اختيار منطقة القبائل ذات الموقع الإستراتيجي المتحكم في المواصلات، تسودها لهجة محلية وتتوفر على أنها المناطق التي تصدت لجيوش الاحتلال مما جعلها محل دراسة وملاحظة من قبل الساسة الفرنسيين الذين اتخذوها نموذجا لتطبيق خطة ذات توجه طائفي[3].

لقد اعتبر هؤلاء الساسة أن النظام العسكري فاشل كونه لم يهتم بالمسألة البربرية، إنما كان أقرب إلى العرب من البربر وما يدل على ذلك أن المؤسسات التي ظهرت في تلك الفترة تحمل دلالات عربية وليست بربرية مثل المكاتب العربية والمملكة العربية. وفي نفس السياق أكد "موريس وارني"[4] (warnier Mauric) سنة 1865 أن قيادته بنت سياستها في الجزائر على خطأ كلاسيكي تمثل في عدم التمييز بين العرب

---

[1]-ناصر الدين سعيدوني، المسألة البربرية في الجزائر دراسة للحدود الإثنية للمسألة المغاربية، المرجع السابق، ص143.

[2]- سعيدي مزيان، المرجع السابق، ص 130.

[3]- المرجع نفسه، ص 130.

[4]- موريس وارنيي: طبيب جراح عسكري، حل بالجزائر ستة 1832 وبقي بها إلى ما بعد قيام الجمهوري الثالثة، ولعب أدوار في السياسة والاقتصاد، وسنة 1837 عينته فرنسا قنصلا لها في معسكر، وعين عضو في اللجنة العلمية سنة 1839، وكان كذلك عضو في مجلس الحكومة العامة بالجزائر، وسنة 1850 أسس جريدة الأطلس. يعتبر وارني معادي للعسكريين من جهة ولسياسة المملكة العربية التي أعلن عنها نابليون من جهة أخرى حيث أطلق عليه الزعيم المعادي للعرب. ينظر إلى: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954،ج6، المرجع السابق، ص 311-312.

والبربر وبالتالي –حسب نظره– ووقعت في خطأ قادها إلى الوقوع في أخطاء فادحة تمثلت في استخدام مفاهيم خاطئة منها القومية العربية والمملكة العربية[1].

كان وارني من بين الداعين والمؤيدين لإتباع "سياسة إدماجية" تحول الجزائر إلى مقاطعة فرنسية فيما وراء البحر وكان من بين المتعاطفين مع المجتمع البربري حيث قال في هذا الصدد " ... **هناك صعوبة واستحالة التعامل مع النظام الاجتماعي العربي بقدر ما يسهل حين نحاول بذر الحضارة الفرنسية في الأعراق البربرية**"[2]. وقد سعى في كتبه ومقالاته إلى نشر وتثبيت الأفكار التي تقول أن القبائل هم الأهالي الحقيقيون في الجزائر وأنهم أقرب إلى الفرنسيين وكذلك هم مستقبل البلاد.[3] وطالب وارني من حكومته بوقف التعريب لأن في الجزائر شعبين وليس شعبا واحدا، وطالب بالاعتراف بثلاث لغات وهي: البربرية للبربر الخلص، والجزائرية للبربر المستعربين، والعربية الدارجة للعرب فاعتبر هذا الطبيب أن القبائل هم المتفتحون على الحضارة الأوروبية وهم الحلفاء الطبيعيون للفرنسيين، وفي الجهة الأخرى هنالك العرب الذي يرى بأنهم متعصبون والمبتعدون عن الحضارة الفرنسية[4].

وحاول وارنيي أن يؤكد على أن بعض الأهالي المعربين كانوا في الماضي "بربرا" (فهو صاحب النظرية القائلة بأن هناك عربا تبربروا وبربرا تعربوا) ثم قدم أرقاما كاذبة والتي بقيت معتمدة لمدة طويلة فهذه الأرقام أو الإحصائيات وضعها وارني انطلاقا من تقديرات النقيب " كريت " (cartte) والجنرال " هانوتو "، والتي تضمنت أن الجزائر بها 1200000 بربري معربين و 1000000 بربري و500000 عربي[5]. وهناك إحصاء آخر قدمه شارل روبير أجيرون في كتابه الجزائريون المسلمون وفرنسا حيث قال عنه أنه تقدير شبه رسمي وضع سنة 1865 وهو كالتالي:179, 978 قبائلي و209,515 بربري و 1,131,851 عربي.[6]

وما يمكن ملاحظته من خلال هذه الإحصائيات أن الفرنسيون حاولوا إظهار العرب قلة قليلة أي أنهم أقلية عرقية جاءت إلى الجزائر غازية في وقت مضى، أما باقي السكان فهم البربر الذين يعتبرون السكان

---

[1]– سعيدي مزيان، المرجع السابق، ص 130-131.

[2]– المرجع نفسه، ص 131.

[3]– شارل روبير أجرون، المرجع السابق، ص 499.

[4]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954 ج6، المرجع السابق، ص 312.

[5]– سعيدي مزيان، المرجع السابق، ص 132.

[6]– شارل روبير أجرون، المرجع السابق، ص 501.

الأصلين للجزائر. وعلى الرغم من ظهور فريق متشبث بالأسطورة مثل ورانيي وأقرانه، فإننا لم نسمع بتخلي فرنسا عن جزء من أرض الجزائر لهذا الفريق أو ذاك، لأن جل كتابها كانوا يحاولون إبراز فكرة أن فرنسا كانت تعامل سكان منطقة القبائل معاملة حسنة ومعاملة صادقة، عكس بقية مواطنيها فالدليل على بطلان الفكرة الأخيرة أن عن انتزاع الأراضي وتوزيعها على المستوطنين لا يسأل الجزائري هل أنت من السكان المستقرين أو من السكان الرحل –أي هل أنت بربري أو عربي– وكذلك عواقب الثورات كانت واحدة على الجميع.[1]

والغريب في الأمر أن وارنيي الذي طالما امتدح القبائل على هدوئهم سنة 1857، وعلى قربهم من الحضارة الفرنسية بحكم اتصالهم القديم بالرومان (حسب زعمه) إلا أنه هو الذي نصب لهم المحاكم والمشانق بعد ثورة 1871 واغتصب أراضيهم وفرض عليهم غرامات مالية باهظة.[2]ولدينا أيضا من رجال السياسة الجدد الذين وقفوا في مؤلفاتهم كلها إلى جانب " القبائل نجد " بوميل" (pomel)، وهو عضو في مجلس الشيوخ وممثل لوهران حيث أن هذا الأخير عرض رأيه حول السياسة الأهلية، في كتاب نشره سنة1871 عنوانه "أعراق الأهالي في الجزائر والدور الذي تسمح به مؤهلاتها" [3]ومما ورد فيه: " **لقد ضحى مشروع المملكة العربية بالبربر ذوي الأصول السلتية في سبيل العرب... يجب على الاستيطان أن يعوضهم، أما العرب فينبغي حشرهم في أعماق الصحراء**".

ونجد في صحيفة " الشعب الجزائري " سنة 1844 تصريح "جاستو"(Gastu) نائب مدينة الجزائر وأحد دعاة الإدماج، حيث قال " **إدماج القبائل مع الأوروبيين أمر سهل لما بيننا من تقارب في العادات**"[4].

ونفس الأفكار نجدها عند دعاة الإدماج في فرنسا مع بعض الاختلافات في أسلوب الخطاب، سواء تعلق الأمر بالصحافي "بول بورت" في كتابه "ذكريات عن السفرة البرلمانية في سبتمبر أكتوبر1879 "أو ما تعلق الأمر بالسيناتور "كلاما جيران"(Clamageran) في دراسته حول الجزائر سنة 1883، أو ما تعلق بـ"بول بارت" في كتابه " مقتطفات من بلاد القبائل" سنة 1885، فهؤلاء جميعهم قدموا مختلف المبررات الداعية إلى

[1]– سعيدي مزيان، المرجع السابق، ص 133.

[2]– المرجع نفسه، ص 133.

[3]– شارل روبير أجيرون، المرجع السابق، ص 505

[4]– المرجع نفسه، ص 505.

الوقوف بجانب القبائل[1]. ويمكن القول أن مناصرة القبائل توجه سياسي أخذ في التراجع منذ 1891-1892 في الجزائر وفي فرنسا إلى درجة غيابه تماما في العشرين سنة الأولى من القرن العشرين، ولكن أفكارها بقيت ولا تزال مغروسة. وتماشيا مع هذه السياسة –مناصرة القبائل– قام " شارل جونار " (الحاكم العام في الجزائر) بإلغاء تسمية المكاتب العربية في منطقة القبائل سنة 1904 وسماها مكاتب الشؤون الأهلية والهدف من هذا الفعل هو محاربة التعريب في هذه المنطقة.[2]

ب-الأسطورة عند العسكريين:

راح الكتاب الفرنسيين العسكريين وكل من كان يدعم فكرة إنشاء أسطورة أو خرافة قبائلية لتثبيت أركان المستعمر الفرنسي، يبحثون عن الفروق في المقابر والمتاحف والحوادث التاريخية وفي لون البشرة وتباين اللهجات والأعراف ونظام الحياة اليومية، وكانوا يدخلون البربري والعربي في المخبر الفرنسي ويأخذون عينات دم هذا وذاك، ومن جمجمة هذا وذاك ومن جلد هذا وذاك، ثم يحللونها بمهاراتهم "العلمية" باستعمال العديد من التقنيات(الأنثربولوجية، واللسانيات). ثم يعلنون النتيجة التي تعتبر في نظرهم باهرة، وهي أن هناك أكثر من شعب يسكن الجزائر وأن هناك اختلاف بين عناصر هذه " الشعوب"، وأن الإسلام بينهم يختلف تطبيقه بدرجات متفاوتة في كل منطقة، وكذلك تختلف مكانة اللغة العربية (المتحدثين بها) من منطقة إلى أخرى وتصل أحيانا إلى درجة غيابها في بعض المناطق[3].

بدأت تظهر ملامح التعامل مع الأهالي الجزائريين في عهد الجنرال" بوجو" أين قام بتوزيع وثيقة طويلة تتكون من ستة فصول على المكاتب العربية العسكرية والتي كانت تحكم، فحث موظفي إدارته على التعامل مع الجزائريين على أساس عرقي لكي تستفيد من الصراع الذي سوف تخلقه سياستها هذه، وبالتالي سوف تستطيع إخماد أي مقاومة بسهولة. وتحدث في هذه الوثيقة عن نوعين من السلالات: وهي العرب والقبائل فذكر أنه من الصعب التحكم في منطقة القبائل لعدم المعرفة الكاملة بهم، لذلك توالت تقارير الضباط العسكريين، وانتشرت كتابات ومؤلفات درست هذه المنطقة وكذلك أجريت مقارنات بين العرب والقبائل.[4]

---

[1]– شارل روبير أجيرون، المرجع السابق، ص 505.

[2]– سعيدي مزيان، المرجع السابق، ص 135.

[3]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954ج6، ص 306.

[4]– سعيدي مزيان، المرجع السابق، ص 136.

ظهر كتاب للكولونيل "دوماس" والنقيب "فابار" بعنوان "القبائل الكبرى" اللذان صاغا سنة 1847 الأسطورة القبائلية فقاما بوصف كل من العرب والقبائل أين تحدثا عن العرب أنهم رعاة وكسالى يعيشون تحت الخيام، أما من ناحية شكلهم فهم ذوي شعر أسود وعيون سود، أما الفرد القبائلي المستقل ذو أصل جرماني، الذي يعيش أبناؤه في الجبل، يزرعون الأرض، أما من ناحية شكلهم فهم شقر غالبا وذو عيون زرقاء، نتيجة التمازج مع أعراق شمالية.[1]

ويمكن اعتبار كتاب القبائل الكبرى لدوماس وفابار بمثابة مشروع استعماري واضح كونه أراد أن يظهر العربي بمظهر الشرير والقبائلي بصورة الإنسان الطيب والترويج لها وكذلك كون أن هذين العسكريان سعا بكل جهد لتجسيد المشروع الوارد في هذا الكتاب.في هذا الصدد، صرح الجنرال "دوفيفي" في كتابه "حل المسألة الجزائرية"[2]**أن القبائل بطبعهم مستقرون ولا يرغبون في الطاعة والخضوع... وبطبعهم يعادون العرب**". وانتقل هذا العسكري لتقديم وصف للعرب ورأى أن لهم طابعا مغايرا للقبائلي الذي هو شخص ذو نقص خلقي وعقلي. وأكمل قائلا "...**من الواضح أن استقرار القبائل وحب هذه العناصر للعمل ينبغي أن يكون محور سياستنا لاستقرارنا ونجاحنا في إفريقيا**"[3].

ويمكن القول أن هذين الكتابين يظهران بوضوح الطابع الاستعماري، ما جعلها مؤلفات غير نزيهة ولا موضوعية كون (دوماس وفابار ودوفيفه) أولا عسكريين وبالتالي صفة الموضوعية والتخصص تقل في كتاباتهم، وأيضا لا ننسى أن دوماس يعتبر من بين الذين قادوا حملات عسكرية للاعتداء على الجزائريين في قراهم ومداشرهم وانتهكوا حرمات هذا الشعب. وبالتالي لا يمكن أن ننتظر من هذه الشخصية أن تكتب بموضوعية.[4] ولدينا أيضا أبحاث النقيب "كاريت" الذي يعتبر أول من اكتشف قانون العقوبات القبائلي من الفرنسيين حيث تصدي لنشر مبالغ العقوبات القبائلية، وأكد على أن منطقة القبائل التي ظلت على معزل لأي اتصال مباشر معنا وبقيت في صراع مستمر ضد أشكال الهيمنة القديمة ينبغي أن تتحول في بضع

[1]- كميل ريسلير، المرجع السابق، ص77-78.

[2]-عبد النور غرينة، المجتمع الجزائري في الكتابات الأنثربولوجية الفرنسية حالة الشرق الجزائري إبان الفترة الإستعمارية1880-1962، المرجع السابق، ص 39.

[3]- المرجع نفسه، ص 39.

[4]- عبد السلام همال، المرجع السابق، ص 29.

سنيين لأحسن شريك في تحقيق مشاريعنا ونجاح أعمالنا ويضيف قائلا لن يكون من المستحيل بعد الآن خلق فرنسيين جدد[1].

ويمكن القول من كل هذا أن نتاج الأسطورة القبائلية قائم على إظهار التفوق القبائلي على العربي، فينظر إلى العربي كبدوي، يميل إلى التعدد، متعجرف، أرستقراطي، ذكي متوحش وكسول. أما الأخر (القبائلي) يُنظر إليه كمتحضر لا يقبل التعدد، غير مهتم بالجانب الديني وله مؤسسات ديمقراطية، متفتح، له عادات بناءة،هو رجل عصري وذلك للعديد من الاعتبارات (أخلاقية ومظهر خارجي).[2]

كما انشغل العديد من الضباط بتطوير هذه النظريات نذكر منهم "البارون هنري" وقد أكد هذا الضابط الليبرالي في مختلف كتاباته على أن القبائل "**المتمسكون بفتور اتجاه الدين المحمدي جعلت طباعهم وأعرافهم يميلون إلى جانبنا**".وحاول إيجاد شبه بين القبائل والفرنسيين أين قال في هذا الصدد" نظامهم **جمهوري وحكمهم ديمقراطي وقراهم تشبه قرانا الفرنسية بسقوفها القرميدية الحمراء وأنهم يحملون وشما في شكل صليب، ويوم استراحتهم يوم الأحد**".كما قام بالتنبؤ بأن: " **بعد مئة عم سيصير القبائل فرنسيين**"[3]. وكتب البارون هنري في كتابه "دراسات حول ماضي ومستقبل منطقة القبائل"، مجموعة من المعلومات حول القبائل والعرب أين نجده أظهر حقدا تجاههم حيث يقول في هذا الصدد" **إلى جانب الفرد العربي، الذي يقطن في وديان المحيط الأطلسي، يعيش شعبا أخر يخضع لظروف معيشية خاصة: أنا أتحدث عن بربر القبائل الذين تم محو هويتهم من قبل الحكام الذين غزوا شمال إفريقيا**"[4].

وما يمكن ملاحظته أن هنري أراد أن يوصل لنا فكرة أن القبائل تم إخضاعهم من قبل العرب بقوة السلاح والعنف وأنهم قاموا بطمس هويتهم ومحوها. وأكمل هنري حديثه عن القبائل أين وصفهم كالتالي:"**القبائل يقطنون الجبال، أقوياء وكرماء، ويتميزون بشجاعة وكذا حبهم للعدالة.** "

---

[1]- سعيدي مزيان، المرجع السابق، ص137.

[2]- كمال كاتب، أوروبيون أهالي يهود بالجزائر(1830-1962)، تر: رمضان زبدي، د. ط، دار المعرفة، الجزائر، 2011، ص 291.

[3]- سعيدي مزيان، المرجع نفسه، ص 137-138.

[4]- Le baron Henri Aucapitaine, les kabyles et la colonisation de L'algèrie, chez tous les libraires de L'algèrie, 1864, p4.

وأعجب هنري بأخلاق القبائل وعاداتهم وأرى أنها السبب في تعاطف فرنسا معهم.[1] في المحصلة، إنه لمن المبالغة حصر عدد الكتابات والدراسات التي رددت حملة وارني المعادية للعرب. فكان الإجماع الذي حصل وقتها لصالح قضية القبائل: ولقد جاءت رسائل المستوطنين إلى مجلس الشيوخ، تحمل شهاداتهم أمام لجنة التحقيقات سنة 1868، ورغبات المجالس العامة وكانت كلها تؤيد مواقف العسكر المتعاطفين مع الأهالي. بلغت الأسطورة بين سنوات 1871-1891 أوج انتشارها ولم يصمد أمامها سوى قدماء الضباط في المكاتب العربية.[2]

2-أهم الأطروحات التي تؤسس "للأسطورة القبائلية":

أ- انحدار البربر من أصول أوروبية:

منذ أوائل الأربعينات من القرن التاسع عشر أخذ الفرنسيون يكتشفون سلاحا أخر وهو أن في الجزائر عنصرا بربريا ليس ككل البربر. وبنو على ذلك نظريات وأجروا بحوثا انتهت في نظرهم إلى أن هذا العنصر من الجنس الآري، أو الهند أوروبي وأنه لا علاقة له بالجنس السامي وبعد أن كانوا يعاملون كل السكان على أنهم عرب مسلمون، بدؤوا يعاملونهم معاملة مختلفة، فبعضهم عرب وبعضهم الآخر بربر، وأخذوا يضعون لهؤلاء وأولئك خصائص ومميزات تجعل البعض منهم قريب إلى المسيحية وإلى الفرنسيين في العرق والسلوك وفي النظام الاجتماعي من السكان الآخرين.[3]

وقد تجاهل الفرنسيون روايات النسابة البربر والعرب، وتجاهلوا كذلك حتى الروايات الشفوية التي يرويها البربر أنفسهم عن أنسابهم، وهذا على الرغم من أنهم-أي الفرنسيين-قد ترجموا واطلعوا على معظم المصادر العربية والإسلامية التي تناولت وعالجت هذا الموضوع من بين هذه المصادر(تاريخ ابن خلدون، تاريخ ابن الأثير، وابن الحكم، وابن الحزم والمسعودي).[4] إن النظرية الفرنسية الاستعمارية القائلة بأن البربر من أصول أوروبية تنقسم إلى أراء عديدة نذكر منها:

-منها من يدعي أن البربر من أصل هندو-أوروبي، إذ هم جزء من تلك الجماعات القديمة التي قدمت من الهند ومرت بفارس والقوقاز ثم انتشرت في أنحاء أوروبا واتجه فريقا منها عبر إسبانيا إلى شمال إفريقيا.

---

[1]- Le baron Henri Aucapitaine,OP.Cit , pp 4,22.

[2]- سعيدي مزيان، المرجع السابق، ص 138-139.

[3]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954ج6، المرجع السابق، ص 304.

[4]- المرجع نفسه، ص 304.

-ومنها من يرجع البربر إلى أصول أوروبية ولكنهم لا يعممونه على جميع البربر وإنما يقتصر على تلك المجموعة البربرية التي تمتلك شعر أشقر وعيون الزرق، التي ينسبونها مرة إلى الغاليين أو الجرمانيين على أساس أنهم قدموا مع الروم والوندال ومرة ينسبونهم إلى أصل قوقازي[1].

- فيما يخص مسألة الشعر الأشقر والعيون الزرق والبشرة البيضاء وعلاقة هذه الصفات بأوروبا ما تزال تثير الحيرة والجدل (لدى الباحثين الفرنسيين).وما يمكن تأكيده أن هذه المجموعة أي (البربر) لا علاقة لها بأوروبا وذلك لقدم وجودها بالمنطقة وذكر البعض بأن العنصر الأبيض كان مقيما ببرقة وأن العدد الكبير من الجنود الليبيين بمصر في عهد البطالمة كان من هذا العنصر[2].

وعندما رفضت هذه المقولة حتى من بعض الفرنسيين الذين تبرؤوا منها، فإن الدراسات والبحوث في هذا المجال لم تسلم بالروابط بين العناصر البشرية بالشمال الإفريقي والأقوام التي كانت تعيش بمنطقة الشرق الأوسط، بل أصبحت تحاول إيجاد الأدلة عن طريق الإثنوغرافيا وآثار ما قبل التاريخ وتحاول تحليلها وتفسيرها لتخرج بنتيجة أن سكان الجزائر هم من سلالة بشرية هي أقرب من العناصر الأوروبية منها إلى سكان مناطق الشرق الأوسط، وأن البربر حسب هذه الآراء هم نوع من المجموعة البشرية التي تتشكل منها العائلة الأوروبية المنتشرة بالحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط[3].

وما يمكن قوله في هذا السياق هل أن قدوم القرطاجين والرومان والوندال والبيزنطيين لم يدخل الكثير من التغيير على الوضع العرقي للسكان؟ ولو اعتمد الفرنسيين على روايات وأخبار المؤرخين وناقشوها وقبلوا منها ورفضوا بعضها لقلنا أن ما توصلوا إليه جدير بالنظر والدراسة ولكنهم كانوا يعتمدون على نزوات شخصية ومصالح استعمارية آنية، فلقد كانوا يصدقون"أرنست رينان" ويكذبون "ابن خلدون" ويأخذون من نظرية "دوركايم" ويرفضون نظريات "ابن حزم" و"ابن عبد الحكم"[4].

إن التاريخ لم يسجل ولو مرة قبل حلول الفرنسيين بالمغرب العربي، أية حركة تعادي العروبة أو تتنكر للإسلام أو تدعوا إلى الانفصال العرقي، بل كانت كل أحداث التاريخ الجزائري تندرج في سياق واحد وهو العمل على نشر لغة القرآن والعمل على تعزيز مكانتها. وجهود الدول الإسلامية بالمغرب العربي التي هي

---

[1]- سعيدي مزيان، المرجع السابق، ص 149.

[2]- المرجع نفسه، ص 149.

[3]- ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وأفاق، المرجع السابق، ص 79.

[4]- سعيدي مزيان، المرجع السابق، ص 150.

من أصول بربرية قحة من رستميين وحماديين ومرابطين وموحدين وبني زيان وبني حفص وغيرهم تؤكد هذا التواصل في تاريخ الجزائر قبل أن يحل الاستعمار بربوعه[1]. ونستطيع القول أن هنالك العديد من عرب شمال إفريقيا اليوم هم بربر تعربوا كونهم اختلطوا بعرب شبه الجزيرة العربية وهنالك أيضا عرب تبربروا واندمجوا في مجتمع البربر. والتحدث بالعربية لا يعني بالضرورة الانحدار من عرق عربي، كما أن التحدث باللهجات البربرية لا يعني كذلك الانحدار من عرق بربري[2].

ب- إثبات العامل الديني(مسيحية منطقة القبائل وسطحية الوازع الديني عند سكانها):

لم يكن هدف منظري الأسطورة القبائلية يتمثل في متابعة مشروع الشرعنة (شرعنة وجود فرنسا في الجزائر) عبر ربط عرقي-ثقافي وتاريخي لإفريقيا بأوروبا فحسب، بل سعت إلى خلق فارق وجودي بين العرب وسكان القبائل، لتوعية هؤلاء بتفوقهم على أولئك -العرب-وقربهم الثقافي من الحضارة الغربية التي عليهم الاندماج فيها. وفي سنة 1864 كتب "دوما" كلما حفرنا في هذا الجذع القديم، تحت القشرة المسلمة، عثرنا على نسغ مسيحي. نعترف إذن بأن الشعب القبائلي، المستقل جزئيا، المسيحي بأكمله ماضيا، لم يُغير مظهره كلية في الديانة الجديدة، قبِل القرآن تحت السيف ولكنه لم يعانقه أبدا، ارتدى البرنوس، ولكنه حافظ على شكله الاجتماعي السابق وهو لا يعرض أمامنا رمز الصليب، ولكنه موجود في وجوه أفرادهم (وشم)[3].

وعكف (الأب المنصر) "دوقاس"(Ducas) على دراسة منطقة القبائل وحث الإدارة الاستعمارية على تنصير سكانها وفرنستهم حيث استشهد ببعض الآثار التي يقول عنها أنها بقايا مسيحية منها وجود قرية قرب جامع الصهاريج (بمنطقة القبائل) تدعى"أمصلوب" أي المسيح المصلوب معتقدا أن سكانها لا يزالون يحتفظون بالديانة المسيحية والمساجد عندهم قليلة والإقبال عليها ضعيف وإن وجدت فهم يمارسون بعض أركان الإسلام من باب العادة، لذلك فهم يبدون استعدادا للرجوع إلى المسيحية.[4]وإن أ كبر المدافعين على مسيحية منطقة القبائل ووجوب إرجاع سكانها إلى حظيرة المسيحية هو" الكاردينال لافيجري" الذي اعتبر

[1]- ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وأفاق، المرجع السابق، ص 80.

[2]- سعيدي مزيان، المرجع نفسه، ص 150.

[3]-كميل ريسلير، المرجع السابق، ص 81-83.

[4]- سعيدي مزيان، المرجع السابق، ص 151.

الغزو الاستعماري الفرنسي النهائي للجزائر لا يتم إلا بإحياء الماضي المسيحي وبعث الكنيسة الإفريقية الرومانية.[1]

في الواقع، إن مثل هذا الكلام يجرنا إلى استجلاء تاريخ الديانة المسيحية بالجزائر وذلك قصد فهم كيفية دخولها إليهم.كان الرومان كغيرهم من الشعوب آنذاك يعبدون الأوثان، وكان البربر يعبدون كذلك أوثانا ورثوها عن قرطاجة الأولى" كبعل" و"تانيت"، ولما استقر الرومان بالبلاد أخذوا بعض أصنام البربر وسموها بأسماء رومانية وكذلك أخذ البربر بعض أصنام روما وسموها أسماء بونيقية.[2]وكان البربر في الغالب يعكفون على عبادة القوى الطبيعية كالغابات والأحراش والأنهار، بينما كان الرومانيين يعبدون كل صنم أينما وجدوه سواء بالشرق أو الغرب. فلما ظهرت بالمشرق أنوار الديانة المسيحية في أول عهد القياصرة اعتنقتها جماهير غفيرة من الرومان، وتسربت بواسطتهم إلى المغرب فأعجب البربر بهذا الدين الآمر بالأخوة والمساواة ومكارم الأخلاق(حسب زعمهم) وتسارعوا إلى اعتناقها.[3]

ويمكن القول كخلاصة للاحتلال الروماني والوندال والبيزنطي أنه جلب لبلاد المغرب أديان ومذاهب كلها متعادية ومتنافرة، فعمت الفوضى وفقد الأمن إلا أن جاء الإسلام الذي استقر في القلوب استقرارا نهائيا فنظم ما اختل ووحد ما تفرق[4]. في هذا السياق ما نستطيع قوله أن البربر بصفة عامة والقبائل بصفة خاصة قوم يفتخرون بماضيهم ولغتهم وتقاليدهم، وهم فخورين أيضا بدورهم الكبير في فتح الأندلس(ساهموا ب12 ألف جندي على الأقل). وكذلك في نقل الإسلام إلى وسط فرنسا نفسها وإلى جنوب إيطاليا، وهم لا ينفون أنهم فعلوا ذلك كمسلمين عقيدة ولغة، وإنتاجهم الحضاري المكتوب قد اختلط بإنتاج العرب حتى لم يعد أحد يستطيع معرفة الفرق بينهم. فكانت نوايا الإدارة الاستعمارية وراء مدح البربر وذم العرب وأحيانا العكس، ليس غايته خدمة العلم والحقيقة إنما خدمة مصالحها وتمكين الحضارة الفرنسية على حساب حضارة البربر والعرب معا.[5]

---

[1]- سعيدي مزيان، المرجع السابق، ص 152.

[2]- أحمد توفيق المدني، قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 112-113.

[3]- المرجع نفسه، ص 113.

[4]- سعيدي مزيان، المرجع السابق، ص 154.

[5]- كميل ريسلير، المرجع السابق، ص 83.

وما يمكن قوله كنتيجة عن الأسطورة القبائلية نظرا لكون هذه السياسة غير واقعية ومستحيلة التطبيق لرفض غالبية السكان لها ولتخوف المستوطنين الأوروبيين من نتائجها، فإنها ظلت مجرد فكرة إيديولوجية وخطة سياسية، عرفت لدى العديد من الدارسين للسياسة الفرنسية في الجزائر بـ "الخرافة القبائلية" أو "الوهم القبائلي".[1]

ثانيا: انعكاساتها

أ- ظهور نخبة الحركة البربرية:

على الرغم مما قيل، فقد أثمرت جهود الإدارة الفرنسية ومساعي الضباط الفرنسيين في نقل الفكرة البربرية من أدراج -الإدارة الفرنسية- ومن مكاتب دارسي البربريات إلى شريحة من المثقفين الجزائريين المتفرنسين من بلاد القبائل.

تخرج جل هؤلاء من المدارس اللائكية[2]والمؤسسات التبشيرية، وقد كان في طليعة المجموعة الأولى التي تكونت بمدرسة المعلمين ببوزريعة(الجزائر) وشكلت بما يعرف بمعلمي الفرنسية القبائل ومنهم:حسين لحمق وفرعون وسعيد بوليفة وقرباي والشريف بن حبيلس وبن سديرة وغيرهم.[3]وازدادت أعداد هذه المجموعات بشكل ملحوظ مع تخرج أعداد كثيرة من متقبلي الفكرة البربرية من طلاب المدارس الثانوية وخريجي جامعة الجزائر وبعض الجامعات الفرنسية، وأصبحوا مع نهاية الحرب العالمية الثانية(1945) يشكلون نخبة ذات ميول بربرية فرضت حضورها ببلاد القبائل. ويمكن القول في نفس السياق أن خلال هذه الفترة المذكورة أخذت هذه النزعة البربرية طابعا سياسيا ويعود هذا إلى سنتي(1946-1947)، حينما انضم عدد من الشبان إلى حزب

---

[1]- سعيدي مزيان، المرجع السابق، ص 130.

[2]- اللائكية: لفظ اللائكية يعود إلى أصلين لغويين، الأصل الأول لاتيني يتمثل في عبارة "لايكوس" أي رجال الدين، أما الأصل الثاني للفظ اللائكية فهو يوناني يتمثل في عبارة " لاووس" التي تعني الشعب، فاللائكية ليست فصل الدين عن الدولة فحسب، بل أيضا سبب هذا القصل وهدفه، أي إعطاء السلطة للشعب، بغض النظر عن الاختلاف الديني للمواطنين، فبالتالي تعرف على أنها تفعيل فصل الدين في واقع السياسي فلا الديني يتدخل في الجانب السياسي ولا السياسي يتدخل في الجانب الديني، ارتبطت اللائكية أكثر بفرنسا لإعلانها لائكيتها دستوريا سنة 1905.ينظر إلى: محمد الحاكم بن عون، المرجع السابق، ص 140-142.

[3]- ناصر الدين سعيدوني، المسألة البربرية في الجزائر، المرجع السابق، ص 160.

الشعب الجزائري إلا أن أغلبهم كانت إيديولوجيتهم مغايرة لإيديولوجية حزب الشعب بحيث كانت تطالب بالبربرية في الجزائر[1].

وكان ذوي النزعة البربرية يدخلون كبارا وصغارا إلى جسم الحزب إلى كل المواقع فيه تقريبا كجرثومة تدخل جسما قد ضعف ، تنقلوا بسهولة وذهبوا يزرعون الجرثومة في كل فرنسا على حسب وصف "محمد حربي" (كان هؤلاء في فترة من الزمن سادة الحزب)[2]. مع هذا التطور ظل تأثير النخبة البربرية محدودا في فترة مابين الحربيين (1919-1939) بسب تجاهل السكان لهم واعتبارهم مجرد مجموعة من الأفراد المتغربين المصطبغين بالثقافة الفرنسية والمتحمسين لها. ومنه نستطيع القول أن هذه الجماعة "ضعيفي النفوس" تأثروا بالحركة التبشيرية وتقبلوا فكرة التجنس وكذا إيمانهم بالقيم العلمانية ومزجها بين تمجيد الماضي البربري والواقع الاستعماري الفرنسي، ولقد وجدت هذه النخبة في بداية ميلادها ترحيبا ودعما من قبل الفرنسيين الذين اعتبروا ظهورها تكريسا لنجاح السياسة الفرنسية القائمة على تكوين نخبة موالية لها.ولم يستطع منظرو السياسة البربرية ومن تأثر بهم من تحقيق أهدافهم وأمالهم [3]

ويرجع ذلك إلى وقوف الحركة الوطنية والتيار الإصلاحي في وجه هذه النخبة ولا ننسى أيضا دور الزوايا التي كانت بمثابة حصن منيع يقي المجتمع من انتشار أفكار تهدف إلى حدوث انشقاق في الجزائر، ويمكن تحديد أفكار ومبادئ الدعوة البربرية كما طرحتها النخبة البربرية في النقاط التالية:

-اعتبار الثقافة العربية من عوامل هدم الهوية البربرية.وبالتالي اتخذوا مبدأ معادي لها، فتجاهلوا الماضي الإسلامي للجزائر وكذا تراثه، ولم يكتفوا بهذا فقط، بل قاموا بحملة عدائية ضد اللغة العربية التي تعتبر حسب نظرهم لغة غزاة ووسيلة تمارس ضد الفرد القبائلي[4].

---

[1]- حسن بن تيشة وعوادي محمد، الأزمة البربرية 1949من خلال فكر وكتابات بن يوسف بن خدة، مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية، المجلد5، العدد1، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سوسة تونس، جامعة الوادي الجزائر، 2024، ص77.

[2]- محمد حربي، جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، تر: كميل قيصر داغر، ط1، دار الكلمة للنشر، بيروت، 1983، ص 64.

[3]- ناصر الدين سعيدوني، المسألة البربرية في الجزائر، المرجع السابق، ص 160-161.

[4]- المرجع نفسه، ص 161-162.

-اعتبار القبائلية لغة لجميع الناطقين بالبربريات وجعلها في موقف تنافس وعداء مع العربية ومن بين هؤلاء المعادين لها المغني القبائلي" إيدير" الذي اعتبر اللغة العربية أجنبية عنه أين قال: "**كيف أن أمي لا تفهم نشرات الأخبار بالعربية الفصحى على شاشة التلفزيون الجزائري وهم يقولون أنها لغة جزائرية**".

-فهم التاريخ وتفسيره انطلاقا من الموقف المعادي للماضي العربي الإسلامي للجزائر بحجة ضرورة مصالحة الجزائر "مع هويتها البربرية وماضيها الوثني وقيمها المسيحية."[1]

ب- الأزمة البربرية:

لم يقتصر الأمر على القمع المسلط على أعضاء حركة انتصار الحريات الديمقراطية وتزوير الانتخابات فقد عانى أعضاء هذه الحركة من مشكل آخر لا يقل خطورة عن تزوير الانتخابات يتمثل في مشكل الانقسام في الحزب ووجود عناصر يسارية ذات نزعة بربرية من القبائل الكبرى، متواجدة أكثر بفرنسا ومسيطرة على خلايا الحزب ولجنته المركزية.[2] قام بهذه الأزمة مجموعة من الشباب ببلاد القبائل ذوي الثقافة الفرنسية، ووجدت لها بيئة ملائمة في أوساط المهاجرين القبائل بفرنسا والمهيكلين في فيدرالية فرنسا لحزب الشعب- حركة انتصار الحريات الديمقراطية-. وقد انطلقت هذه المجموعة في عملها من خلال خطة محكمة التي تقوم على استقطاب طلبة القبائل(من الثانويات وبجامعة الجزائر...) -كما ذكرنا سابقا- المعروفين بميولهم وحماسهم للأفكار المؤسسة -لكيان بربري-. واستطاع هؤلاء الحصول على عضوية اللجنة المركزية للحزب وكان على رأسهم (علي فرحات ويحي هنين ومبروك الحسين وواعلي بناي وعلي عيماش وغيرهم). [3]

وقد أدى تراجع الجيل الأول لمنظمة النجم وحزب الشعب إلى وصول الجيل الثاني إلى أماكن المسؤولية في الحزب، فكان هذا هو الهدف الرئيسي لدعاة البربرية، فعملوا على نسج خيوط المؤامرة لتحويل اتجاه الحزب وجعله وسيلة لنشر أفكارهم، أين قام واعلي بناي -عضو اللجنة الفيدرالية لحزب الشعب بفرنسا- بإقناع مسؤول المنظمة الوطنية للحزب بالجزائر"أحمد بودة" بضرورة نقل

[1]- ناصر الدين سعيدوني، المسألة البربرية في الجزائر، المرجع السابق ، ص 162.

[2]- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية لغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 318.

[3]- ناصر الدين سعيدوني، المسألة البربرية في الجزائر، المرجع السابق، ص 167-168.

" سي علي يحي[1]" الملقب "بسي رشيد" إلى فرنسا فتمت العملية بنجاح (بمساعدة فرنسا التي كانت تسعى إلى إشعال نار الفتنة داخل الحزب)[2].

وأظهر هذا الأخير جرأة وكفاءة أين أصبح عضو في اللجنة الفيدرالية لحزب الشعب بفرنسا، أين بدأ في التهجم على توجهات قيادة الحزب وأجهر عن نزعته البربرية. استطاع سي رشيد من الوصول إلى جريدة الحزب "النجم الجزائري" فأصبحت هذه الجريدة منبرا لأفكاره، ووصل به الأمر إلى كتابة تعليق في الجريدة بعنوان "**الجزائر ليست عربية ولكن جزائرية**" ردا على المذكرة التي قدمها مصالي الحاج إلى هيئة الأم المتحدة سنة 1948 والتي جاء في مقدمتها: " **إن الأمة الجزائرية العربية ولدت منذ القرن السابع الميلادي مع الفتح الإسلامي...**" [3] .

وما يمكن قوله أن رشيد يحي عمل على التقرب من مناضلي حركة الانتصار-باستعمال أسلوب المكر والخداع -وذلك من أجل خلق حركة شعبية بربرية، فهذه الأفكار التي سعى لها هؤلاء(النخبة البربرية) تطورت إلى أن أصبحت عقيدة وطنية، فوصل بهم الأمر إلى تأسيس منظمة داخل حركة انتصار في أواخر 1949 سميت "بحزب الشعب القبائلي".[4] هذا الاندفاع الذي أظهره سي رشيد المعادي لمبادئ الحزب أصبح خطر على وحدته أين بدأ قادة حزب الشعب في التخطيط لوضع حد لهذا الوضع، فقاموا بإعادة تجديد تشكيل فيدرالية فرنسا وتحويل اهتمامه إلى الجزائر، حيث كان مناضلو الحزب يتعرضون لضغوطات دعاة البربرية في بلاد القبائل أين عملوا على تأديب المناطق التي قامت بحركات عصيان بلاد القبائل وكذلك وعملوا على تأديب المناطق التي قامت بحركات عصيان مثل منطقة (عين الحمام بتيزي وزو)[5]

قررت القيادة محاربة القبائل بالقبائل وكان ذلك بتصفية المنشقين أين وقعت مشادات عنيفة وأدى هذا الهجوم إلى القضاء على الأزمة ومن نتائجه:

---

[1]-علي يحي: اسمه الكامل محمد سيد يحي علي المدعو رشيد أحد المتخرجين من الكنيسة النصرانية والذي عرف بمواقفه العدائية من العروبة صاحب مقولة " الجزائر ليست عربية وإنما هي جزائرية" ينظر إلى: مومن العمري، الحركة الثورية في الجزائر من نجم شمال إفريقيا إلى جبهة التحرير الوطني 1926-1954، د.ط، دار طليعة للنشر، قسنطينة، 1955، ص 206.

[2]- ناصر الدين سعيدوني، المسألة البربرية في الجزائر، المرجع السابق، ص 168.

[3]- المرجع نفسه، ص 168-169.

[4]- مومن العمري، المرجع السابق، ص 206.

[5]- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 169-170.

-حل اللجنة الفيدرالية وتعويضها بلجنة يرأسها راجف بلقاسم.

-طرد المعارضين للحزب (دعاة النزعة البربرية).

-توقيف جريدة النجم الجزائري التي كانت لسان حال حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية.[1]

المبحث الثاني: رد فعل الجزائريين على السياسة الفرنسية

1-رد فعل سكان منطقة القبائل على سياسة التنصير:

إن التنصير في الجزائر امتاز بالتخطيط المحكم والتنظيم الجيد، إذ كان مبنيا على الفهم العميق للمجتمع الجزائري، فالمبشرون راهنوا على القضاء على إسلام سكان الجزائر، وركزوا كثيرا على منطقة القبائل لعدة أسباب التي ذكرناها سابقا.

هذا ما جعل الجزائريين يقومون بردة فعل وإبداء سخطهم وسنعرض هذه الردود فيما يلي:

"تكهرب المناخ بالقبائل في النهاية، حينما قام الكاردينال "لافيجري" بتكوين طلبات كاذبة تفيد رغبة القبائل في اعتناق المسيحية. وقدمها هذا الأخير على أساس أنها عرائض وجهت إليه من طرف ثاجماعث القبائل. وعلى إثر التحقيقات التي أمرت السلطات الفرنسية القيام بها في هذا الشأن والتي تخللتها عملية إعلام أصحاب الطلبات المزعومة بالأمر، انتهى الأمر بغضب كبير للقبائل في 12جوان 1868، وقررت قبيلة "آية منقلات" الحجز على أحد الأمناء، ذاك الذي قد راسل اليسوعيين."[2]

وما يمكن ملاحظته من خلال هذا القول أن فرنسا سعت بكل الطرق لاختلاق أكاذيب لا أساس لها من الصحة بهدف تشويه سكان منطقة القبائل وربط ديانتهم بالديانة المسيحية، وذلك من أجل تنفيذ المشروع الاستعماري وتحقيقه.قد تكون هذه الأحداث كافية للإفصاح عن الأكاذيب التي استقرت في تغذية "خرافة القبائل" المسيحية، فكيف لها أن تكون مسيحية وأهلها يرفضون بشدة وبقوة الاستسلام لكل الإغراءات المادية والمعنوية لمنشطي الحركة التبشيرية في مختلف أشكالها؟ كان منهج القبائل في التجاوب مع الإغراءات بشكل آلي، لكنه يفسر بالنظر إلى الوضعية الاجتماعية المزرية التي كان يعاني منها، فقد أجبر أهالي

[1]- بومزو عز الدين، الأزمة البربرية لسنة 1949 في تقرير سري للبوليس الفرنسي، مجلة دراسات، المجلد13، العدد2، جامعة قسنطينة2عبد الحميد مهري، 2022، ص 160-161.

[2]- فلة بن جيلالي، المرجع السابق، ص 182.

المنطقة بترك أولادهم بين أيدي الآباء البيض، خوفا من أن يقتلهم الجوع أو المرض وكذلك خوفا عليهم من الجهل.[1]

لقد ركز رجال الدين المسيحيين الذين أرادوا بقوة محاربة الدين الإسلامي على منطقة القبائل. لكن في المقابل أهملوا باقي مناطق الجزائر، وذلك بفعل الدور الذي لعبته الزوايا في تلقين الأهالي سور القرآن وآياته باللغة العربية مع تطبيقها لمبادئ الشريعة لأحكام الطلاق والزواج وغيرها من مهام تنظيمية أخرى من طرف المرابطين الذين يعتبرون الزعماء الروحيون (الوحيدين الذين يتقنون القراءة والكتابة) فلما لاحظ الآباء هذا الامتياز عملوا على إخفاء مكان يدور في الكتّاب (المدرسة القرآنية) من تعليم الأطفال لمختلف المعارف وكذا تحفيظهم القرآن الكريم، وأيضا صمتوا عن مكان يدور في الزوايا من أفكار ومعرفة، فما ذكر عن هذا النظام المدرسي ما يلي: "**أنه يقتصر على قدرته في تلاوة كافة سور القرآن بثبات، ومن دون أن تفهم منه كلمة واحدة**"[2].

الشكل11 : صورة توضح مظاهر التمسك بالعقيدة الإسلامية(صلاة العيد في إحدى قرى منطقة القبائل)

المصدر: سعيدي مزيان، المرجع السابق، ص381.

تلك هي الصور التي كانت توصف بها الزوايا من طرف رجال الدين المسيح، الذين غفلوا عن الدور الديني الفعال للزوايا، رغم أن مهمتهم الرئيسية هي أيضا دينية حتى ولو كانت تصب في عمقها في الإطار

[1]– فلة بن جيلالي، المرجع السابق ، ص 183.

[2]– المرجع نفسه، ص 183.

الاستعماري، فالدين الإسلامي كان يجد متنفسه عند القبائل في ثنايا المنظمات المرابطية سيما بالزوايا "الرحمانية" التي تم إغلاقها نتيجة المقاومة الشعبية للمنطقة سنة 1871.[1] وفي هذا الصدد سوف نتطرق إلى ثورة الطريقة الرحمانية التي اندلعت كرد فعل حول سياسة التنصير في منطقة القبائل.

أ- ثورة الطريقة الرحمانية:

قام المجلس البلدي بمدينة الجزائر بالإعلان عن غلق المدارس الدينية ابتداء من أول جانفي 1871، لأنه لم يعد في حاجة إليها (حسب نظرهم)، وأخطر عمل قام به هو قرار إيقاف الإعانات المالية المخصصة لجميع الديانات بالجزائر، فقد ذكر الحاضرون بأنه لم تكن للديانة الإسلامية إعانة من البلدية، فمصاريفها كانت عن طريق مداخيل الأوقاف التي حجزتها الدولة واعتبر سكان بلاد القبائل أن هذا القرار (القرار الثاني) يهدد أعز شيء عندهم ألا وهو الدين[2].

لقد رأى هؤلاء السكان المسلمون تساهل السلطات الفرنسية على تصرفات المبشرين في التنصير، فيمكن اعتبار بأن كل هذه القرارات والتصرفات التي مست دين سكان المنطقة كانت سببا في اندلاع ثورة المقراني، وأيضا كانت السبب الرئيسي في التفاف السكان حول الطريقة الرحمانية ليعبروا مرة أخرى عن رفضهم لهذه التصرفات التبشيرية من المجلس وإبداء تخوفهم من التبشير بصفة عامة.[3] إن ثورة 1871التي انطلقت من منطقة القبائل هي أبعد ما تكون عن الكوارث الطبيعية لعام 1868 والدليل على ذلك أن رد فعل سكانها لم يكن لسبب اقتصادي، إنما كان رد فعل على التصرفات التبشيرية التي هددت ديانتهم. فقام كل من المقراني وبومرزاق بكتابة رسائل للسكان بغية تحفيزهم على الثورة، وحمل السلاح للقضاء على سياسة التنصير فقد كان من بين شعارات كبار المنطقة: "**وبعد أن تتوكلوا على الله ورسوله، تقدموا إلى الجهاد لنصرة دينكم عزما**".[4]

لقد اتخذت هذه الثورة طابعا دينيا ووطنيا تصارع فيها أباء منطقة القبائل ضد الآباء البيض. وكذّبت هذه المقاومة دعاة مسيحية القبائل وأبطلت الآراء التي تزعم بأن هؤلاء أقرب إلى الاندماج من بقية السكان الآخرين. أما الكاردينال لافيجري فيرى أن أسباب الثورة تعود إلى السياسة الفرنسية بالجزائر التي وضعت

---

[1]-فلة بن جيلالي،المرجع السابق، ص 183.

[2]- خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص 150-151.

[3]- المرجع نفسه، ص 151.

[4]- المرجع نفسه، ص 151-152.

القرآن بمرتبة أعلى من الإنجيل، وترجع في نظره أيضا إلى مواقف الذين أسسوا مدارس إسلامية بأموال فرنسية، ومنعوا رجال الدين من نشر الإنجيل، هذا كله أدى إلى تعصب السكان إلى أن انفجروا فأحرقوا القرى.[1]

وما يمكن ملاحظته من خلال ما صَّرح به الكاردينال لافيجري، أنه أراد أن يرجع سبب انفجار مقاومة المقراني إلى سخط سكان منطقة القبائل من سياسة فرنسا القائمة على تعظيم الإسلام وتشجيع تأسيس المدارس الإسلامية في المنطقة، بما أن هؤلاء ينتمون إلى الديانة المسيحية (حسب زعمه) فقد انزعجوا وانتفضوا من هذه السياسات.[2]

وعملت ثورة الطريقة الرحمانية على التأثير في أعمال "لافيجري" الهشة وإفلاسها، الأمر الذي دعا إلى قيامه بطلب الصدقات من المسيحيين في كل من أمريكا وبلجيكا وفرنسا. وبفضل تبرعات هؤلاء استطاع هذا الأخير أن يستعيد قواه لاستئناف الأعمال التبشيرية. ويمكن القول أنه تم إخماد ثورة 1871 بعنف، فقد كان قمع السكان شديدا.وبعد هذه الثورة لم ييأس دعاة (مسيحية القبائل) ، وقد سعى هؤلاء إلى البحث عن وسائل تقرب السكان من جديد من المجتمع الفرنسي بعد تطبيق النظام المدني.[3] أما فيما يخص نتائج هذه المقاومة، فقد خلفت آثارا انعكست سلبا على سكان المنطقة، فيما يخص الضرائب ومصادرة الأراضي وتوزيعها على المستوطنين، ومنه تحول الأهالي من أُجَراء.[4]

ب- دور الزوايا في مقاومة السياسة الفرنسية في منطقة القبائل:

لم تحقق الإدارة الفرنسية في الجزائر ما كانت تأمله من تقسيم السكان وتصنيفهم إلى قبائل وعرب، كما لم ينجح دعاة البربرية من الموظفين والضباط ودارسي البربريات فيما كانوا يسعون إليه من خلق واقع ثقافي واجتماعي ببلاد القبائل قائم على تكوين هوية بربرية معادية للبربرية ومتحسسة للإسلام ومتقبلة للغة وللثقافة الفرنسية، إذ امتنعت غالبية سكان بلاد القبائل عن مجاراة دعاة البربرية فيما كانوا يسعون إليه.

---

[1]- خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص 152.

[2]- المرجع نفسه، ص 152.

[3]- المرجع نفسه، ص 152-153.

[4]- فلة بن جيلالي، المرجع السابق، ص 185.

وقد كان الفضل في إفشال-السياسة الفرنسية البربرية- في بلاد القبائل يعود أساسا إلى نشاط زوايا بلاد القبائل ودعاة الإصلاح من رجال الزواوة الذين سجلوا صفحات خالدة في الدفاع عن هوية الجزائر لا تقل عن تلك التضحيات التي بذلوها في مواجهة التوسع الفرنسي في منتصف القرن التاسع عشر.[1]

ج- مكانة الزوايا ببلاد القبائل:

قامت الزاوية ببلاد القبائل بمحاربة الاستعمار منذ وصوله إلى المنطقة، أين بذل الزعماء الروحيون لهذه المنطقة جهدا كبير لإعلاء صوتهم ضد الوجود الفرنسي، فإمكانياتهم المادية البسيطة لم توقف عزيمتهم وإرادتهم لصد خطر الاستعمار الفرنسي. ونظرا للمكانة المرموقة التي تحظى بها الزوايا في نفوس السكان، فإن نشر أية دعوة عن طريقها تجد صدى كبيرا وسريعا، لأنها تمثل المثل الأعلى بالنسبة لهم. ولهذا نجد أن منطقة القبائل من بين الأقاليم الأولى التي لبت نداء الجهاد بقوة من أجل محاربة المستعمر الذي جاء لسلب أراضيهم وجاء لمحاربتهم دينيا وفكريا وحتى اقتصاديا.[2]

وانطلاقا من هذه الاعتبارات، أخذت الزاوية في بلاد القبائل المكانة اللائقة بها، ألا وهي محاربة الاستعمار الفرنسي، ونشر تعاليم الدين الإسلامي وحمايته، خصوصا أن فرنسا عملت على نشر المسيحية بمجرد أن وضعت أقدامها في المنطقة. ولتحقيق هذا الغرض كانت ترى أنها لابد من إزالة العائق الأساسي أمامها، المتمثل في الزوايا.ويقول" إسماعيل روبان" في هذا الصدد: **"من السهل الاعتراف بأن أحد أكبر العوائق التي سنجدها أمامنا عندما نعمل على غرس السلطة الفرنسية في بلاد جرجرة هي وجود عدد كبير من الزوايا والمرابطين الذين يفهمون بأن دورهم المهم هذا سيزول في اليوم الذي يُقام فيه حكم مركزي في هذه البلاد، وهذا الحكم هو الذي سيقوم بدور الحكم في المنازعات بين القرى والقبائل، ولهذا فهؤلاء سيعملون بدون شك على منع أو عرقلة السلّم وتعكيره عندما يستتب أمره"[3].**

وما يمكن ملاحظته من خلال قول إسماعيل روبان أنه على خطأ وذلك لاعتقاده بأن العلاقة الوحيدة بين المرابطين والسكان هي علاقة الحاكم بالمحكوم، وهي في الحقيقة أكبر من ذلك وأمتن وأعمق، فهؤلاء يمثلون في نظر السكان أولياء الله على الأرض، الحامين لكلمته، العاملين على مواصلة نشر دينه والمثقفين

[1]- ناصر الدين سعيدوني، المسألة البربرية في الجزائر، المرجع السابق، ص 156.

[2]- محمد سي يوسف، المرجع السابق، ص 22-23.

[3]- المرجع نفسه، ص 23-24.

لأبنائهم، فسلطة هؤلاء المرابطين لم تكن مفروضة على السكان إنما هم الذين اختاروها بسبب عوامل تاريخية عديدة[1].

الشكل12: صورة توضح عينة لمسجد من مساجد منطقة القبائل التي حافظت على الأصالة الحضارية لسكان المنطقة(تم بناءه سنة 1865)

المصدر:Decrescenzo jean, chroniques tiziouziennes(1844-1914),p94

ونستطيع القول أن منطقة القبائل لم تستسلم لهذه المحاولات من طرف المستعمر حيث كان الرفض قاطعا لهذه الممارسات والمشاريع، فرفض أعيان هذه المنطقة عبر مؤسسة الزوايا التي كانت ضاربة في عمق منطقة القبائل وحافظت على كل موروث من تقاليد متبعة تقر بعروبة أصل البربر. ناهيك عن علو المكانة الاجتماعية التي حظي بها قسم كبير منهم ممثلا في منزلة الشرفاء، فهؤلاء الأعيان بزواياهم رفضوا تحكيم العرف. كما طالبت هذه الزوايا السلطات الفرنسية بالإبقاء على الأحوال الشخصية الإسلامية،[2] أين رفعت عرائض تندد استبدال أحكام العرف القبائلي بأحكام الشرع، ومنها تلك العريضة التي وجهها جمع من شيوخ القبائل إلى الإدارة الفرنسية يستنكرون فيها اعتماد العرف المحلي المعروف "بالقانون القبلي" لمنطقتهم ويطالبون بالرجوع إلى الشريعة الإسلامية[3].

[1]- محمد سي يوسف، المرجع السابق، ص 24-25.

[2]- الطيب معاش، المسألة الامازيغية في الجزائر من المطلب إلى الترسيم الجذور، المسار، الاعتراف، وموقف النخب منه، مجلة انسنة للبحوث والدراسات، المجلد13، العدد1، مخبر التمكين الاجتماعي والتنمية المستدامة في البيئة الصحراوية، جامعة عمار ثليجي بالأغواط، 2022، ص 114.

[3]- ناصر الدين سعيدوني، المسألة البربرية في الجزائر، المرجع السابق، ص 157.

وما يمكن استخلاصه أن زوايا بلاد القبائل لعبت دورا مهما إذ وقفت كسد منيع أمام دعاة السياسة البربرية، فكانت بمثابة الخط الدفاعي المتقدم عن شخصية الشعب الجزائري الذي تحطمت أمامه المحاولة الأولى للفرنسة والتنصير المشحون بالعداء العنصري للعربية والإسلام، فنذكر بعض أسماء زوايا بلاد القبائل التي ناهز عددها الأربعين: سيدي عبد الرحمن اليلولي وسيدي علي بن الشريف وسيدي منصور وسيدي محمد بوقبرين بآيت إسماعيل وسيدي علي بن موسى وسيدي علي قوقاس وسيدي أحمد بن إدريس والشيخ أعراب وأولاد مصباح وغيرها[1].

2-رد فعل الجزائريين تجاه سياسة إحياء اللهجات المحلية (البربرية):

لم يقف رجال الإصلاح مكتوفي الأيدي، إذ أنهم أدركوا خطورة الوضع لذلك بادروا بالتحرك لتوعية الشعب بخلفيات هذه السياسة والغاية منها. ونكتفي بذكر شخصيتين التي كان لها دور في هذه التوعية، وعلى رأسهم عبد الحميد بن باديس الصنهاجي الذي صّد المشروع الفرنسي، بل وركز على إحياء لغة القرآن الكريم وسنة المصطفى(صلى الله عليه وسلم)، أما الشخصية الثانية التي نادت بوجوب تعلم اللغة العربية على المسلمين؛ فهي شخصية أبو يعلى الزواوي إذ يقول: " ... **تعلم العربية واجب على المسلمين، لأنها مما يتوصل به إلى واجب، وما يتوصل به واجب فهو واجب.**" [2]

ونستخلص من كل هذا أن هذه الجهود استطاعت إحباط المشروع الاستعماري القائم على السياسة البربرية بل وأدت إلى نتائج معاكسة له، فقد عمقت الروح الإسلامية وساعدت على انتشار اللغة العربية أكثر من ذي قبل، وأدت إلى تلاحم المجتمع الجزائري قبائل وغير قبائل، وهذا ما استخلصه المؤرخ الفرنسي شارل روبير أجيرون في دراسته للسياسة البربرية لفرنسا عندما اعتبر أن "السياسة البربرية لفرنسا في الجزائر كان مآلها الفشل إذ لم تعمل سوى على تقريب الجزائريين وتوحيدهم وتكاثفهم."[3]

خلاصة الفصل الثالث:

-عمل منظري السياسة البربرية لفرنسا من ضباط عسكريين وسياسيين على خلق صور نمطية على العنصرين العربي والبربري، فحاولوا إظهار البربر على أنهم من أصول أوروبية وأن المسيحية هي ديانة

[1]- ناصر الدين سعيدوني، المسألة البربرية في الجزائر، المرجع السابق، ص 156.

[2]- محمد الحاكم بن عون، المرجع السابق، ص 127-128.

[3]- ناصر الدين سعيدوني، المسألة البربرية في الجزائر، المرجع السابق، ص 160.

آبائهم، ولابد أن يندمجوا في الحضارة الغربية وغيرها من أفكار ذات بعد استعماري لا أساس لها من الصحة. أما بخصوص الصور التي تكونت عن العرب، فقد حاولوا إظهارهم على أنهم غزاة متخلفين وأقل شئنا من إخوانهم البربر، فهذه الأفكار التي قاموا بتكوينها ثم تدوينها في العديد من المؤلفات أرادوا تطبيقها على أرض الواقع بما يعرف بالأسطورة أو الخرافة القبائلية، التي تهدف إلى خلق نخبة موالية لفرنسا وكذا خلق انقسام في المجتمع الجزائري. كان لهذه السياسة المفتعلة من قبل الإدارة الاستعمارية مجموعة من الانعكاسات التي من بينها ظهور ثلة من دعاة النزعة البربرية المعروفة " الحركة أو النخبة البربرية "، أين قام هؤلاء بنشر أفكار تهدف إلى الانفصال والانقسام عن حزب شعب، مما أدى إلى حدوث أزمة في هذا الحزب وظهور حركة عصيان في البلاد وانتهت بسيطرة مناضلي الحزب على الوضع.

-أمام هذه السياسات الفرنسية المتعددة التي كان هدفها واحد ألا وهو خلق ثغرات بين أبناء المجتمع الجزائري من تنصير واستبدال العرف محل الأحكام الشرعية ومحاولة القضاء على اللغة العربية بتشجيع اللهجات العامية. وآخر هذه السياسات وأخطرها مشروع الأسطورة القبائلية. لم يقف الجزائريين مكتوفي الأيدي وذلك لإدراكهم الغاية من كل منها، فقد لعبت الزوايا ورجالها دورا كبيرا في صد أي سياسة تهدف إلى التفرقة العرقية .

خـــاتـــمـــة

لقد تم التوصل من خلال دراستنا لموضوع فرنسا وصناعة التقسيمات العرقية في الجزائر(1830-1900م)، إلى النتائج التالية:

- في البدايات الأولى للاحتلال الفرنسي،كانت المعرفة الأولى عن المجتمع الجزائري محدودة لدى المستعمر، من ناحية سلوكه عاداته وتقاليده. لذلك أدرك أهمية البحث الأنثربولوجي لما له من قوة على اختراق المجتمعات وتحليلها بدقة واستيعابها وتقديمها ما ترغب معرفته عن الفرد (الجزائري).

- تعتبر الدراسات التي قام بها الأنثربولوجين بمثابة مهمات أوكلتها السلطات الفرنسية للباحثين،فلم تكن هذه الدراسات علمية محضة.وبالتالي يمكن اعتبار هؤلاء جنود في الميدان وليسوا علماء باحثين عن الحقيقة.

- كان هدف السلطات الاستعمارية من خلال الأدبيات التي ألفها الضباط والأساتذة الأكاديميين تحويل التكامل إلى تنافر والتنوع الذي وجدته في المجتمع الجزائري(من اختلاف اللهجات اختلاف العادات والتقاليد) إلى تناقض وذلك بالتركيز على إحياء النعرات والنزاعات بين مختلف أعراق الجزائر.

-تنوعت الدراسات الفرنسية التي كتبت حول أعراق المجتمع الجزائري في جميع المجالات إلا أنها تعتبر سلاح ذو حدين، فمنها الذي كتب بموضوعية وهذا قليل جدا ومنها من كان هدفه تشويه التاريخ الجزائري.

-إن اختيار الإدارة الاستعمارية للمناطق التي تم ذكرها في المتن(القبائل- الأوراس- بني ميزاب- الهقار) لم يكن عبثا ولا صدفة فقد تم اختيارها لأنها تحمل مميزات عديدة تؤهلها لتنفيذ وتطبيق سياستها العرقية وذلك بهدف تحطيم الوحدة الحضارية للأمة الجزائرية.

-لقد ساهمت السياسة الاستعمارية -سابقة الذكر- في الجزائر إلى تشويه هوية الشعب الجزائري وتجاهل الحقائق التاريخية.

- فكرت فرنسا في كل الحلول ونفذت كل المشاريع لإنجاح سياستها في الجزائر لضمان البقاء فيها.

- إن فشل المشروع التنصيري في منطقة القبائل يشكل دليلا قاطعا على عدم صحة أراء الفرنسيين، الذين ذكروا في كتاباتهم أن سكان منطقة القبائل إسلامهم سطحي وديانتهم الأصلية هي المسيحية.

- كانت فرنسا تهدف من سياسة التنصير المطبقة في الجزائر، إلى تفكيك أبناء الشعب الواحد والقضاء على أي رابط يجمع هؤلاء (محاربة الدين الإسلامي)، مثلما فعلت في لبنان. في هذا الصدد،يرى الفرنسي لورانس

براون أنه " **إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية يمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطرا،ويمكن أن يصبحوا أيضا نعمة له إذا أصبحوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير**"[1].

– استفادت السلطات الاستعمارية من وجود تمايز واختلاف في اللهجات بين مختلف أعراق المجتمع الجزائري، وذلك بهدف توسيع الهوة بين العرب والبربر. من خلال اهتمامها باللهجة البربرية من أجل تبين الفروق اللسانية والإثنية وتعزيز الصراع بين الطرفين وأيضا للتشكيك في أصولهم وهويتهم .

– خلق ما يسمى بأسطورة خيالية في منطقة القبائل الكبرى التي تقول بأن سكان المنطقة من أصول رومانية مسيحية.وبالتالي عملت فرنسا على انتهاج هذه السياسة في مستعمراتها التي ترى فيها تنوع ديني ولغوي كل ذلك من أجل إحكام الهيمنة والسيطرة على البلاد.

– بناءا على الإحصائيات التي تم ذكرها، نستنتج أن هناك تناقضات في الإحصائيات التي وضعتها الإدارة الاستعمارية،فكل مرة كانت تصدر تقارير إحصائية جديد، يتغير فيها تصنيف العرب والبربر، فتارة يبينون العرب كأقلية وسكان القبائل كأغلبية وتارة أخرى يحاولون إبراز أن العرب والقبائل بنسبة متساوية، وهذا التباين في النتائج يوحي بتلاعب في تقديم البيانات بهدف التلاعب بالتركيبة العرقية للمجتمع الجزائري.

– كانت مسألة الاهتمام بسكان منطقة القبائل طيلة فترة الاستعمار حتمية تاريخية غير قابلة للمناقشة ولا لأي شكل من أشكال النقد من طرف الفرنسيين(كعدم قبول الكاردينال " لافيجري" لأراء هانوتو الذي تخوف من تنصير سكان منطقة القبائل)، فهذا النقد سوف يهدد سياستهم القائمة على ضرورة تفتيت التركيبة الاجتماعية للمجتمع الجزائري.

–ركزت الدراسات الفرنسية على زرع فكرة أن البربر جماعة إثنية وإبراز خصوصيات البربر التي تميزهم عن العنصر العربي، كإظهارهم كمجتمع بعيد عن الإسلام. وأن تنظيمهم الاجتماعي يسهل فرنسته واستلابه ثقافيا، والتركيز على أعرافهم وعاداتهم وتقاليدهم.

– شكّل التنوع الثقافي والعرقي للجزائر بالنسبة لفرنسا نعمة فقد استغلته لصالح سياستها، وذلك من خلال إبراز ميزة كل عرقية وهذا الأمر سوف يساهم في ظهور اختلافات، فالقبائلي يرى نفسه مختلف تماما عن

[1]– ملكي شامة، المرجع السابق، ص462.

العربي والعربي نفس الشيء، وبالتالي سيتولد صراع فيما بعد وهذا هو هدف المستعمر فكلما زادت الصراعات بين أبناء الوطن الواحد كلما أحست فرنسا أن بقاءها في الجزائر سيكون أطول.

-ركزت السلطات الاستعمارية في سياستها(التنصير، القوانين العرفية، إحياء اللهجات القديمة) القائمة على تقسيم أعراق المجتمع الجزائري على محاربة الإسلام وضرب اللغة العربية، وطمس الشخصية العربية الإسلامية.

-لم يبق الشعب الجزائري مكتوف الأيدي أمام السياسة الفرنسية، بل قاومها بكل ما يملك مدافعا عن هويته رافضا الذوبان في الحضارة الفرنسية، فلم تستطع الإدارة الاستعمارية من تقسيم المجتمع الجزائري وما يؤكد ذلك اتحاد القبائلي والشاوي والتارقي والمزابي والعربي في ثورة أول نوفمبر 1954، أين اتفقوا على تفجيرها في يوم واحد وفي ساعة واحدة.

-نجم عن السياسة الفرنسية التي تم تطبيقها على المجتمع الجزائري انعكاسات بعيدة المدى، فبدأت تظهر آثارها بشكل بارز بعد استقلال الجزائر. فالتفرقة والتمييز الذي نعيشه اليوم هذا عربي وذلك قبائلي وشاوي، وأيضا استمرار مطالبة النخبة البربرية بإنشاء دولة تجمع كل الناطقين بالأمازيغية وغيرها من المطالب التي تهدد استقرار البلاد.

- لم تستطع السياسات الفرنسية ولا مؤلفاتها التي خططت لها بكل دقة ونفذتها على أمر الواقع من بث السموم في أوساط المجتمع الجزائري، فهذا الفرد في أصوله وتكوينه بربري وعربي وحدهما الإسلام ولديهم نفس التاريخ والمصير المشترك.

- فشلت الإدارة الاستعمارية في تحقيق هدفها المتمثل في إلحاق المجتمع البربري إلى صفها، ومع ذلك كانت هذه السياسة خنجرا مسموما في ظهر المجتمع الجزائري، للأخطار الناجمة عنها مستقبلا، التي قد ستؤدي إلى زعزعة الوحدة الوطنية لاحقا كما فعلت في لبنان (الحروب الأهلية).

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المراجع باللغة العربية:

1/ المراجع:

- الكتب:

01.العربي إسماعيل، الصحراء الكبرى وشواطئها ،د.ط ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1983.

02.العمري مومن، الحركة الثورية في الجزائر من نجم شمال إفريقيا إلى جبهة التحرير الوطني 1926-1954، د.ط، دار طليعة للنشر، قسنطينة، 1955.

03. الناصري محمد المكي، فرنسا وسياستها البربرية في المغرب الأقصى، ط2، شركة بابل، العراق، 1993.

04.المدني أحمد توفيق، كتاب الجزائر،ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

05.سعد الله أبو القاسم، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث – بداية الاحتلال – ، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1982.

06.الشماس عيسى، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثربولوجيا)، د. ط، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004.

07.قنان جمال، قضايا ودراسات تاريخ الحديث والمعاصر، د.ط، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر،1994.

08.أ.هانوتو وأ.لوتورنو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، ج 2، تر: مخلوف عبد الحميد، د. ط، دار الأمل، تيزي وزو، 2013.

09.أجرون شارل روبير، الجزائريون المسلمون وفرنسا، 1871-1919، تر:حاج مسعود وبكلي، ج1، تر: رمضان زبدي د.ط، دار الرائد للكتاب، الجزائر،2007.

10.إحدادن زهير، شخصيات ومواقف تاريخية، الأكاديمية الجزائرية للوثائق والمصادر التاريخية، الجزائر، 2012.

11.أحمد بن نعمان، فرنسا والأطروحة البربرية الخلفيات الأهداف والوسائل والبدائل، ط2، شركة دار الأمة للطباعة، الجزائر،1997.

12.أ حميدة عميراوي، قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع،عين مليلة،2005.

13.أحميدة عميراوي وزاوية سليم وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية1844 –1916، د.ط، دار الهدى، الجزائر،2009.

14.بقطاش خديجة، الحركة التبشيرية في الجزائر1830–1871، د.ط، دحلب، الجزائر،1977.

15.لبيب الطاهر، صورة الآخر العربي ناظرا ومنظور إليه، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ،1999.

16. بلاح بشير، تاريخ الجزائر المعاصر1830–1989، ج1، د.ط، دار المعرفة، الجزائر، 2004.

17.بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية لغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.

18. بودوح السبتي بلقاسم، منعة جوهرة الأوراس تاريخها في القديم والحديث، د.ط، مطبعة قرفي عمار، باتنة، د.س.ن.

19. بوطالب محمد نجيب، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2002.

20. حربي محمد، جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، تر: كميل قيصر داغر، ط1، دار الكلمة للنشر، بيروت، 1983.

21.حلوش عبد القادر، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، د.ط، شركة دار، الجزائر، 2013.

22. سعيدوني ناصر الدين، الجزائر منطلقات وأفاق مقاربة للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ط3، البشائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

23. سي يوسف محمد، مقاومة منطقة القبائل للاستعمار الفرنسي ثورة "بوبغلة"، د.ط، دار الأمل للنشر، تيزي وزو، 2000.

24. كاتب كمال، أوروبيون أهالي يهود بالجزائر(1830-1962)،تر: رمضان زبدي، د. ط، دار المعرفة، الجزائر، 2011.

25.الطاهر محمد وعلي، التعليم التبشيري في الجزائر من1830 إلى 1904دراسة تاريخية تحليلية،د.ط، المؤسسة الوطنية للمنشورات المطبعية، الجزائر،2009.

26.المدني أحمد توفيق، قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

27. بوعزة بوضرساية، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر 1830-1930 وانعكاسها على المغرب العربي، دار الحكمة، الجزائر، 2010.

28. لورسن بتريشيا، هويات استعمارية الصور النمطية والتحيز والأعراق في الجزائر المستعمرة، تر: ابتسام خضرة، د.ط، د.د، د.م، دس.

29. ريسلير كميل، السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر أهدافها وحدودها (1962-1830)، تر: نذير طيار، ط1، دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني، الجزائر،2016.

30. سعد الله أبو القاسم، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج1، ط3، دار البصائر، الجزائر، 2007.

31. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية 1830- 1900، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1992.

32.سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، دط، دار الرائد، الجزائر، 2009.

33.سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي،1830 -1954، ج6، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1998

2/ المقالات العلمية:

01.برغيث علي، صورة الجزائر عند الرسام والكاتب الفرنسي أوجين فرومنتان في كتابه سنة في السهل، مجلة التراث، المجلد04، العدد04، 2014.

02.بكاري عبد القادر،الصورة النمطية لقبائل أولاد نايل من خلال الكتابات الفرنسية في القرن 19م، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، المجلد09، العدد03، مختبر الدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر، 2020.

03.بن تيشة حسن وعوادي محمد، الأزمة البربرية 1949من خلال فكر وكتابات بن يوسف بن خدة، مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية، المجلد5، العدد1، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سوسة تونس، جامعة الوادي الجزائر، 2024.

04.بن سفي عز الدين، تاريخ منطقة أولاد ميمون من خلال بعض المصادر الفرنسية أنموذجا، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية /جامعة بابل، العدد28، جامعة تلمسان، الجزائر، 2016.

05.بن صحراوي كمال، حركة التنصير في الجنوب الجزائري"جهود دو فوكو أنموذجا"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، المجلد3، العدد1، جامعة تيارت، 2020.

06.بوباية عبد القادر، دور الرحالة والمستكشفين في حركة التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية، مجلة عصور،المجلد5، العدد4، 2004.

07.بوجمعة فريدة، أبحاث المستشرق الفرنسي ريني باسي حول تاريخ الجزائر خلال الفترة القديمة (تاريخالامازيغ أنموذجا) ، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد11، العدد3، جامعة الجزائر2 أبوالقاسم سعد الله، 2023.

08.بوخلخال عبد الله، الدعوة إلى العامية أصولها وأهدافها،مجلة الآداب، المجلد1، العدد1، جامعة قسنطينة، 1994.

09. بوضرساية بوعزة، سياسة نابليون الثالث نحو الجزائر 1848 – 1870، مجلة تاريخ المغرب العربي، المجلد 05، العدد05، جامعة الجزائر "2" أبوالقاسم سعد الله، 2019.

10.بومدين محمد، الدين والمعتقد في تلمسان أواخر العهد العثماني عند إيدمون دوتي الأولياء والمتصوفة أنموذجا، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد 11، العدد02، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2023

11.بومزو عز الدين، الأزمة البربرية لسنة 1949 في تقرير سري للبوليس الفرنسي، مجلة دراسات، المجلد13، العدد2، جامعة قسنطينة2عبد الحميد مهري، 2022.

12.جعجيع محمد، دور الإستشراق الفرنسي في استعمار فرنسا للجزائر، مجلة المعيار، المجلد5، العدد10، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، 2005

13.طيطوش حدة، الكاردينال لا فيجري وأبعاد مهمته التبشيرية 1867-1880، مجلة مدارات تاريخية، المجلد1، العدد 3، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2019.

14.حريشة جمال و طاليبي علي، الصحراء الجزائرية في كتابات البعثات الفرنسية بعثة لويس اوجين كافينياك1847-1848 أنموذجا، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 9، العدد 2، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، 2023.

15.حمدي عيسى، فرنسا الكولونيالية وسؤال الهوية في منطقة القبائل، مجلة الحوار الثقافي، المجلد05 ،العدد02، قسم العلوم الاجتماعية – جامعة مستغانم، 2015.

16.خليفي عبد القادر، سياسة التنصير في الجزائر، مجلة المصادر، المجلد6، العدد1، جامعة وهران، 2004.

17.خلفاوي عزيزة، السوسيولوجيا الاستعمارية في الجزائر ومخلفاتها، مجلة دراسات وأبحاث، المجلد6، العدد17، جامعة قسنطينة-2-، 2014.

18.داودي مصطفى، الكتابات الفرنسية حول منطقة الجلفة بين الظاهر العلمي والباطن الاحتلالي، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، المجلد5، العدد 10، قسم العلوم الإنسانية جامعة الجلفة، 2014.

19.درعي فاطمة، الأغواط من خلال رحلة الرسام الفرنسي أوجين فرومنتان، مجلة العلوم الإنسانية والحضارة، المجلد05،العدد01، جامعة مصطفى إسطنبولي معسكر، الجزائر،2023.

20.رافع رضا، ظاهرة الشعوبية في العصر العباسي، مجلة المدونة، المجلد2، العدد2، مخبر الدراسات الأدبية والنقدية، 2015.

21. رفاف شهرزاد وسياب خيرة، صورة مجتمع أولاد نائل في القرن التاسع عشر ميلادي من خلال رحلة صيف في الصحراء للرحالة أوجين فرونتان، مركز جيل البحث العلمي، العدد67، جامعة طاهري محمد بشار ،الجزائر ،2020 .

22.زمور غانية ومولاي مراد، الدين ممارساته وتمثلاته–من خلال أعراف القبائل–حالة منطقة تيزي وزو، مجلة أنثروبلوجية الأديان، المجلد18، العدد02، جامعة وهران، 2022.

23.سعيدوني ناصر الدين، المسألة البربرية دراسة للحدود الإثنية للمسألة المغاربية، مجلة عالم الفكر، المجلد2، العدد4، الكويت، 2004.

24.شنيتي محمد البشير، الآثار الجزائرية بين العسكريين والجامعيين، مجلة الدراسات الأثرية، المجلد08 ،العدد08، جامعة الجزائر، 2010.

25.ضيف الله عقيلة، سياسة الاحتلال الفرنسي في الجزائر(1830–1954)، مجلة حوليات جامعة الجزائر، المجلد11، العدد1، معهد العلوم الإنسانية والعلاقات الدولية، 1998.

26.طرشون نادية، سياسة نابليون الثالث العربية، مجلة دراسات وأبحاث، المجلد 8، العدد 26، جامعة يحي فارس، المدية، 2017.

27.طويل حياة، التنصير في الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي1830–1962، مجلة القرطاس، المجلد4، العدد 5، جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر ،2017.

28.عبيد مصطفى، دراسة في رسالة الإمبراطور نابليون الثالث إلى الماريشال بيليسي بتاريخ 06 فيفري 1863، المجلد 14، العدد 1، قسم التاريخ، جامعة مسيلة،2012.

29.عمراوي ليندة، شارل دي فوكو في الجنوب الغربي الجزائري.المهمة المزدوجة، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد8، العدد02، جامعة لونيسي علي البليدة2، 2022.

30.قروجي صورية مولوجي، عن الأثر العلمي للمترجمين العسكريين في البلدان المغاربية المستعمرة: الجزائر نموذجا، مجلة إنسانيات الجزائرية في الأنثربولوجيا والعلوم الاجتماعية،المجلد19، العدد1، 2015.

31.قشاشني علي، التوجه المعادي للغة العربية في السياسة الفرنسية بالجزائر، مجلة آفاق علمية، المجلد12، العدد4، جامعة الجيلالي اليابس، 2020.

32.قوبع عبد القادر، النشاط التنصيري في الصحراء الجزائرية والموقف الإصلاحي منه منطقتي الزيبان وميزاب أنموذجا، مجلة قضايا تاريخية، المجلد4، العدد2، قسم التاريخ، جامعة الجلفة، 2019.

33.كديدة محمد مبارك، مجالات اهتمام الكتاب الغربيين بمناطق أقسى الجنوب الجزائري (هينري دوفريي أنموذجا)، مجلة افاق علمية المجلد8، العدد11، المركز الجامعي تمنغاست، 2016.

34.كركار جمال، حاضرة بجاية ودورها في الحفاظ على المرجعية الدينية في الجزائر، مجلة الحضارة الإسلامية، المجلد16، العدد27، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر-1-، 2014.

35.كركار جمال، القانون العرفي الجزائري خلال فترة الاحتلال قانون منطقة القبائل أنموذجا، مقارنة بين القوانين الفرنسية والشريعة الإسلامية، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، المجلد3، العدد5، جامعة الجزائر(1)، 2014.

36.مرجاني عبد القادر، الصحراء الجزائرية من خلال الكتابات الأوربية خلال القرن 19" بول صوليه أنموذجا"، مجلة الدراسات التاريخية، المجلد19، العدد 22، المركز الجامعي أفلو (الأغواط)،2018.

37.مطمر محمد العيد، الغزو الفرنسي للأوراس وأثره على الحالة الاجتماعية لسكان المنطقة (1844-1884)، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد 6، العدد 10، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2006.

38.معاش الطيب، المسألة الامازيغية في الجزائر من المطلب إلى الترسيم الجذور، المسار الاعتراف، وموقف النخب منه، مجلة انسنة للبحوث والدراسات، المجلد13، العدد1، مخبر التمكين الاجتماعي والتنمية المستدامة في البيئة الصحراوية، جامعة عمار ثليجي بالأغواط، 2022.

39.المفرجي فاطمة حسين، التنصير الفرنسي في الجزائر 1830-1862، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد23، العدد2، جامعة بابل كلية التربية للعلوم الإنسانية، 2016.

40.ملكي شامة، التبشير في منطقة القبائل:وسائله وأهدافه وظروف ظهوره، مجلة الدراسات العقدية ومقارنة الأديان،المجلد5، العدد10، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2011.

41.نايت بلقاسم مولود قاسم، عن تاريخ منطقة الهوقار، مجلة الأصالة، العدد72، ملتقى 13 للفكر الإسلامي بتمنراست، الجزائر،1971.

42.أنساعد سميرة، صورة الأنديجان في الرحالات الفرنسية أثناء القرن التاسع عشر الميلادي، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية،المجلد 03، العدد 02، الملتقى الدولي حول التطور التاريخي لصورة الجزائري في الخطاب الكولونيالي،2009.

43.أورفه لي محمد الخير ولشهب علي وآخرون، إستيفان قزال الأستاذ والباحث في تاريخ وآثار الجزائر القديمة، مجلة الدراسات الأثرية، المجلد8، العدد1، معهد الآثار جامعة الجزائر، 2010.

45.برابح محمد الشيخ، نماذج من مقاومات أولاد نايل للتوسع الفرنسي في الهضاب الوسطى (1849-1854م)، مجلة قضايا تاريخية، المجلد3، العدد09،الجلفة، 2018.

46.سبعون سعيد، الإنتاج المعرفي الكولونيالي: الإثنوغرافيا في الجزائر المستعمرة، مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية، المجلد 2، العدد 4، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، جامعة البليدة 2، 2014.

47.قبال مراد، المقاومة المسلحة في إقليم متيجة (مدينة البليدة نموذجا) 1830-1842، مجلة متيجة للدراسات الإنسانية، المجلد 3، العدد 6، جامعة خميس مليانة، 2016.

48.محدي رزيقة، دور منطقة مليانة في مقاومة الأمير عبد القادر 1835-1842، المجلد 1، العدد4، جامعة لونيسي على البليدة 2، 2016.

49.همال عبد السلام، المدرسة التاريخية الاستعمارية الفرنسية بالجزائر (1830-1962) الأسطورة القبائلية البربرية نموذجا، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد5، العدد8، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، 2015.

50.اوراغي أحمد، الأنثروبولوجيا والاستعمار قراءة في صورة الجزائرية في المؤلفات الانثروبولوجية الاستعمارية، المجلد 5، العدد 2، جامعة تلمسان، 2013.

2/ الرسائل والأطروحات الجامعية:

الرسائل:

1.بومزو عز الدين، الضباط الفرنسيون الإداريون في إقليم الشرق الجزائري إرنست مارسيه نموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث تخصص تاريخ وحضارات البحر الأبيض المتوسط ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ ، جامعة منتوري –قسنطينة– ،2008.

2.دواس أحسن، صورة المجتمع الصحراوي الجزائري في القرن التاسع عشر من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين مقاربة سوسيو ثقافية ، مذكرة لنيل درجة الماجستير في الأدب المقارن، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة منتوري قسنطينة، 2008.

3.غرينة عبد النور، الأوراس في الكتابات الفرنسية إبان الفترة الكولونيالية 1840–1939، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الأوراس الحديث والمعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2010.

الأطروحات:

1.بن جيلالي خديجة فلة، "المسألة القبائلية" في المجال السياسي الجزائري من القرن19 إلى مطلع القرن21، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية فرع التنظيم السياسي والإداري، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر،2012.

2.بن عون محمد الحاكم، المسألة الدينية في الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي (1830–1954)، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم التاريخ، جامعة باتنة1، 2019.

3.سعيدي مزيان، السياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل ومواقف السكان منها (1871–1914) ، مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ،كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، قسم التاريخ، الجزائر، 2009.

4.سيساوي أحمد ، البعد البايلكي في المشاريع السياسية الاستعمارية الفرنسية من فالي إلى نابليون الثالث 1838–1871، مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم التاريخ ، جامعة قسنطينة 02، 2014.

5.غرينة عبد النور ، المجتمع الجزائري في الكتابات الأنثربولوجية الفرنسية حالة الشرق الجزائري إبان الفترة الاستعمارية 1880-1962،أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر – 2– أبو القاسم سعد الله ، 2018.

6.قشاشي علي، التوجه المعادي للعروبة والإسلام في السياسة الفرنسية بالجزائر1871-1954، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة جلالي اليابس–سيدي بالعباس– ، 2021.

4/ المعاجم والقواميس والموسوعات:

1.البدوي عبد الرحمان، موسوعة المستشرقين، ط3، دار العلم للملايين، بيروت،1993

2.الزركلي خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين و المستشرقين، ج3، ط 13، دار العلم للملايين، بيروت،1898.

3.شويقة فاروق عبد الجواد وآخرون، الموسوعة الإفريقية، المجلد الرابع: الأنثروبولوجيا، معهد البحوث والدراسات الإفريقية– جامعة القاهرة اليوبيل الذهبي – ، 1997.

4.يحي مراد ، معجم أسماء المستشرقين، د.ط ، 2005

5/ الملتقيات:

01.عزام عوادي عبد القادر، بسكرة من خلال مذكرات الرحالة الفرنسي هنري دوفيرييه، الملتقى الوطني الثالث عشر، بسكرة بعيون الرحالة الغربيين، مديرية الثقافة لولاية بسكرة، 2015،.

02.مزهورة حسين الحاج، ملخص المداخلة مشروع المملكة العربية لنابليون الثالث في الجزائر 1852-1870،جامعة مولود معمري تيزي وزو، د.س.

ثانيا: المصادر والمراجع باللغة الفرنسية:

المصادر باللغة الفرنسية:

01.Ernest Mercier, Histoire l'afrique septentrional (bebèrie) depuis les temps les plus reculès jusque à la conquete français (1830) paris ،1888،T.

02.Quesony ferdinand , L'Armée D'Afrique depuis la conquéte d'Alger , librairie furne jouvet et cie , E'diteurs 5, Rue palatine ,5.

03.Cartte et warnier, Dexiption et division de l'algèrie ,imprimerie de A.Gyot ,rue neuve des mathurins , 1847.

04.Faucon, Narcisse,le livre D'or de l'Algèrie ,(Histoire politique ,militaire , administrative , èvènement et faitsprincipux, biographie des hommes ayant marque dans l'armèe ,les sciences , les lettres ,ect .de 1830 a 1889) tome 1 , challam el et cie èditeurs , librairie Algèrienne et coloniale 5,rue jacop ,et furstenberg,2,paris 1889.

05.Général duviver, La solution de la question de L'Algérie,Imprimer et libraire miltaire de gaulter-laguione rue et passage dauphine ,36, paris ,1841.

07.Herbert lady, L'Algérie contemporaine illustrée ,victor calmé rue des saints ,Paris 1881.

06.Ernest fallot ,par delà la Méditerranée kabylie ,Aurés ,Kroumirie, librairie plon ,E,plon, impraimeurs-édielrs, 1887.

08.Chàtelain p(Abbé) , En Algérie la kabylie et les oasis du sud ,imprimerie Cath ,L . Cloix ,9 , rue ferdinand –Gambon ,9 , NEVRS .1896.

09.Robert georges. voyage à travers l'Algérie notes et croquis ,imprimerie de G rougier et ,rue cassette. Paris.

10.Maistre jules, Mœurs et coutmes kabyles ,imprimere de la manufacture de la charité,Montpellier.

11.Masqueray Emil , Voyage dans L'aures , Bull soc geog, tom 12, sixiemè sèrie , 1876.

12.Joseph Roland, ètude sur la commune mixet de L'Aurès, Imprimerie typographic a. beun , Rue de sètif,1894 .

13.Dorothèe Cheller ,Voyage dans L'aurès Not D'un mèdecin Envoyè en mission chez les femmes arbes , Tizi –Ouzou , Alger : imp nouvelle j. chellier , 1898..

14.Edmond Doutte, Notes sur l'islam Maghèbin ; les Marabouts , in Revue de L'histoire de Religion , tome XI et XLI , paris , Ernest leroux , èditeur 28 , Rue bonaparte ,28 , 1900.

15. Edmond Doutte , Magie & Religion dans L'Afrique du nord , typographie Adolphe Jourdan Imprimeur – libraire- Editeur , 9, place de Règence ,9, Alger , 1909.

16.Soleillet Paul , L'Afrique occidentale(Algèrie , mzab , tildikelt) , le méme ouvrage,1 volume in -18 .En vente, à paris, chez challamel ainè èditeur,5, rue jacob, paris ,1877.

17.Gros julels , paul soleillet en Afrique , bibliothèque coloniale et de voyage , paris ,1888.

18.Jacquot félix. Expédition du général cavaignac dans le sahara algerien, en avril et mai 1847 gide et baudry paris libraires editeur.

19.Henri duverier, les touargs du Nord Exploration du sahara challamel Aine libraire editeur paris ,1864.

20.Formentin Eugenne, Un été au sahara ، libraire plon les petits-fils de plon, paris ,1877.

21.Daumas M. Fabar, La grande kabylie, études historique، imprimerie، CH Monginot, Alger ,1847.

22. Auclert Hubertine,(1900) Les Fammes arabes en Algérie، paris: société d'éditions littéraires.

24. Le baron Henri Aucapitaine, les kabyles et la colonisation de L'algèrie, chez tous les libraires de L'algèrie, 1864.

25. Decrescenzo jean, chroniques tiziouziennes (1844-1914).

المراجع باللغة الفرنسية:

01.Fanny Colonna, Aurés Algérie Photographies de thérése Riviére ,OPU Alger /MSH , paris ,1987.

02.Masqueray Emil, Note concerant les Aouald –Daoud du mont Aurès (Aouras) , Adolphe Jourdan ,Libraire –èditeur ,4 ,place du gouvernement , Alger, 1879 .

03.Masqueray Emil, Formatoin des citès chez les populations sèdentaires de L'Algèrie (Kabyles du Djurdura, chaouia de l'Aouras, beni Mzab), thèse prèsentèe A la Facultè Des lettres de paris, 1886.0

04.Delartigue, Monographie de l'aures, document sur batna et sa region, constantine , 1904.

المراجع باللغة الألمانية:

01.Adam Sierakowsky, Das schaui, ein beitrag zur berberischen sprach-und volkskunde,Dresden,Kraszewski, 1871, 137is.

فـهـــرس الأشكـــال

فهرس الأشكال:

رقم الشكل	العنوان	الصفحة
01	يمثل صورة توضيحية لممارسة الزراعة في منطقة القبائل.	34
02	يوضح صورة للمرأة القبائلية.	35
03	يوضح رسوم تمثيلية للمرأة القبائلية.	36
04	يوضح صورة لحلي المرأة الشاوية.	39
05	يوضح صورتان للمرأة المزابية.	42
06	يوضح صورة للرجل التارقي.	47
07	صورة توضح الأعمال الخيرية التي يقوم بها الآباء البيض.	64
08	يوضح صورة مركز الآباء البيض ببني يني.	65
09	يوضح صورة جماعة من المسيحيات بآيت واضو.	66
10	يوضح صورة مدرسة بقرية آيت واضو.	66
11	صورة توضح مظاهر التمسك بالعقيدة الإسلامية (صلاة العيد في إحدى قرى منطقة القبائل).	100
12	صورة توضح عينة لمسجد من مساجد منطقة القبائل التي حافظت على الأصالة الحضارية لسكان المنطقة.	104

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

العنوان	الصفحة
كلمة الشكر والعرفان	/
الإهداء	/
مقدمة	أ-ح
الفصل الأول: فرنسا واكتشاف المجتمع الجزائري1830-1870	
تمهيد	11
المبحث الأول: الاحتلال واكتشاف المجتمع الجزائري	11
1.احتلال إقليم متيجة والتعرف الأولي على سكانه.	11
2. الغزو الفرنسي لمنطقة الأوراس والتعرف الأولي على سكان المنطقة.	15
3.غزو منطقة القبائل وتشكل المعارف الأولية عن سكان المنطقة.	16
المبحث الثاني: الأبحاث والدراسات الأنثروبولوجية الفرنسية حول المجتمع الجزائري.	19
1.عهد المؤرخين العسكريين1830- 1880.	20
2.عهد الأكاديميين المتخصصين 1880-1954.	24
المبحث الثالث: الأعراق في الجزائر من المنظور الفرنسي	29
1.البربر.	29
2.العرب.	47
خلاصة الفصل الأول.	53
الفصل الثاني: السياسة الفرنسية لتقسيم المجتمع الجزائري	
تمهيد.	56
المبحث الأول: المملكة العربية 1860-1870	56
المبحث الثاني: التنصير واستبدال القوانين العرفية محل التشريعات الإسلامية	60

أولا: التنصير.	60
ثانيا: استبدال القوانين العرفية محل التشريعات الإسلامية.	70
المبحث الثالث: إستبدال اللهجة العامية " الدارجة" محل اللغة العربية.	76
1.التمكين للسان البربري وتوليد الشعوبية ضد العرب.	77
2.آليات ترقية اللسان البربري.	78
3.أهداف فرنسا من وراء التمكين للبربرية (غاية فرنسا من إحياء اللهجات البربرية).	80
خلاصة الفصل الثاني	82
الفصل الثالث: التقسيم العرقي وانعكاساته 1870-1900	
تمهيد.	84
المبحث الأول: الأسطورة القبائلية وانعكاساته	84
1.الأسطورة القبائلية.	84
أ.الأسطورة عند السياسيين.	85
ب.الأسطورة عند العسكريين.	88
2.أهم الأطروحات المؤسسة " للأسطورة القبائلية".	91
أ- انحدار البربر من أصول أوروبية	91
ب-اثبات العامل الديني (مسيحية منطقة القبائل وسطحية الوازع الديني عند سكانها).	93
2.انعكاساتها:	95
أ.ظهور نخبة الحركة البربرية.	95
ب.الأزمة البربرية.	97
المبحث الثاني: رد فعل الجزائريين على السياسة الفرنسية	99
1.رد فعل سكان منطقة القبائل على سياسة التنصير.	99

2.رد فعل الجزائريين تجاه سياسة إحياء اللهجات المحلية (البربرية).	105
خلاصة الفصل الثالث.	106
الخاتمة.	108
قائمة المصادر والمراجع.	112
فهرس الأشكال.	126
فهرس الموضوعات.	128
ملخص الدراسة.	/

ملخص:

تعالج هذه الدراسة الموسومة بفرنسا وصناعة التقسيمات العرقية 1830-1900، أحداث تاريخية مهمة أين حاولنا الوقوف على حيثيات مسألة التقسيمات العرقية وجذورها، التي تعتبر من بين المسائل المعقدة في المغرب العربي عامة والجزائر خاصة، أين حاولت فرنسا وضع مخطط استعماري له أبعاد طويلة وتأثير عميق، حيث استغلت التنوع العرقي والثقافي الذي وجدته في الجزائر لتسهيل مهمتها، ففي البداية عملت على اكتشاف جميع الجوانب المتعلقة بالمجتمع الجزائري عاداته وتقاليده، فنجدها ركزت كثيرا على الدراسات الانثروبولوجية التي أبرزت الاختلافات بين العرب والبربر، كما نفذت سياسات مختلفة منها التنصير واستبدال القوانين العرفية محل التشريعات الإسلامية وإحياء اللهجات العامية، وكل هذا كان له ردة فعل من قبل الشعب الجزائري الذي فهم غايتها.

الكلمات المفتاحية: التقسيمات العرقية، السياسة الفرنسية، العرب والبربر، الدراسات الفرنسية، التنوع العرقي

Summary:

This study, entitled France and the manufacture of ethnic divisions 1830-1900, deals with important historical events, where we tried to identify the issu of ethnic divisions and its roots, which are among the complex issues in the Maghreb in general and Algeria in particular, where France tried to implement a colonial plan with long dimensions and deep impact, as it exploited the ethnic and cultural diversty that it found in Algeria to facilitate its interests. Its focused heavily on anthropological studies that highlighted the differences between Arabers.It also implemented various policies, including christianization and the replacement of islamic legislation with customary laws, all of which had a reaction from the Algerian people, whoh understood its hidden purpose.

Keywords: Ethnic divisions, french politics, arabs and berbes, french studies, cultural diversity.

REPUBLIC ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAI
MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEURE ET DE L
RECHERCHE SCIETIUFIQUE
UNIVERSITE MOHAMED KHIDER – BISKRA
FACULTE DES SCIENCES HUMAINES ET SCOCIALES
DEPARTEMENT SCIENCES HUMAINES

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة محمد خيضر- بسكرة
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية
السنة الجامعية 2023-2024

بسكرة في 2024/06/03

الاسم واللقب الأستاذ المشرف : أسامة بقار
الرتبة : أستاذ محاضر -أ-
المؤسسة الأصلية : جامعة محمد خيضر بسكرة

الموضوع: الإذن بالإيداع

أنا الممضي أسفله الأستاذ (ة)...أسامة بقار...وبصفتي مشرفا على مذكرة الماستر للطالبين:(ة) ..صوالحي سلمى.....

.....صوالحي نوال.....

في تخصص: ..تاريخ الوطن العربي المعاصر.....

والموسومة: بـ..عمارة وصناعة التقسيمات الإدارية في الجزائر.....

.....1900-1830.....

والمسجل بقسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، أقر بأن المذكرة قد استوفت مقتضيات البحث العلمي من حيث الشكل والمضمون، ومن ثمة أعطي الإذن بإيداعها.

إمضاء المشرف

Université Mohamed Khider, B.P145 RP 07000 Biskra
☎ 033.50.1240

جامعة محمد خيضر بسكرة ، ص.ب 145 ق ر ، 07000 بسكرة.
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، القطب الجامعي ، شتمة .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تصريح شرفي بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لانجاز بحث:

أنا الممضي أسفله،

-الطالب(ة): مرابطي سلمى.....الحامل لبطاقة التعريف الوطنية

رقم:.....20.85.24.89.1

والصادرة بتاريخ.....2022-11-20.....عن دائرة..مشونش.....

- الطالب(ة):..مرابطي نوال.....الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم..20851978.8

والصادرة بتاريخ...2022-11-17..عن دائرة...مشونش.....

المسجل(ين) بكلية :العلوم الإنسانية والاجتماعية: قسم: العلوم الإنسانية. الشعبة: التاريخ.

التخصص:..تاريخ الوطن العربي المعاصر.....

والمكلف(ين) بانجاز مذكرة ماستر ، الموسومة ب:.

...مقارنة مساهمة المؤسسات العمومية في الجزائر.....

.....1900-1830.....

.....

أصرح بشرفي (نا) أنني (نا) التزمت (نا) بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور أعلاه

التاريخ: 06/04/2024.

توقيع المعني(ين):

سلمى

نوال

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner